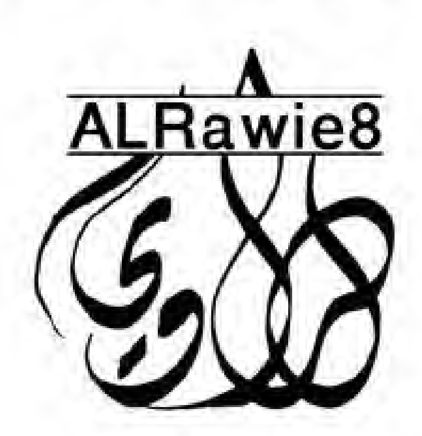
قصص وأشعار

من قبيلة حرب

جمع وإعداد

فائز بن موسى البدراني الحربي



الطبعة الثانية

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار البدراني للنشر والتوزيع . ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحربي ، فائز موسى البدراني

قصص وأشعار من قبيلة حرب. / فائز موسى البدراني الحربي ـ ط٢ .- الرياض، ١٤٣٢هـ.

٣٢٠ ص، ١٧× ٢٤ سم

ردمك : ١ ـ ٨ ـ ٩٩٢١ ـ ٩٩٦٠ ـ ٩٧٨

١ ـ الشعر الشعبي السعودي ٢ ـ القصص الشعبية السعودية

٣ ـ حرب (قبيلة) ـ تراجم أ . العنوان

ديوي ٨١١,٠٩٥٥٣١ ١٤٣٢/٨٩١٦

رقم الإيداع : ١٤٣٢/٨٩١٦

ردمك : ١ ـ ٨ ـ ٩٩٢١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

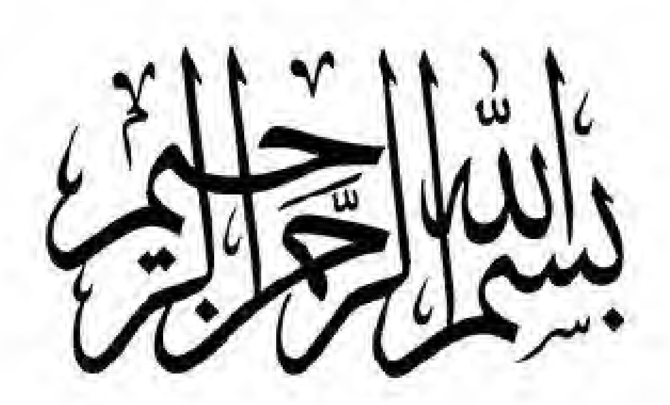
الطبعة الأولى

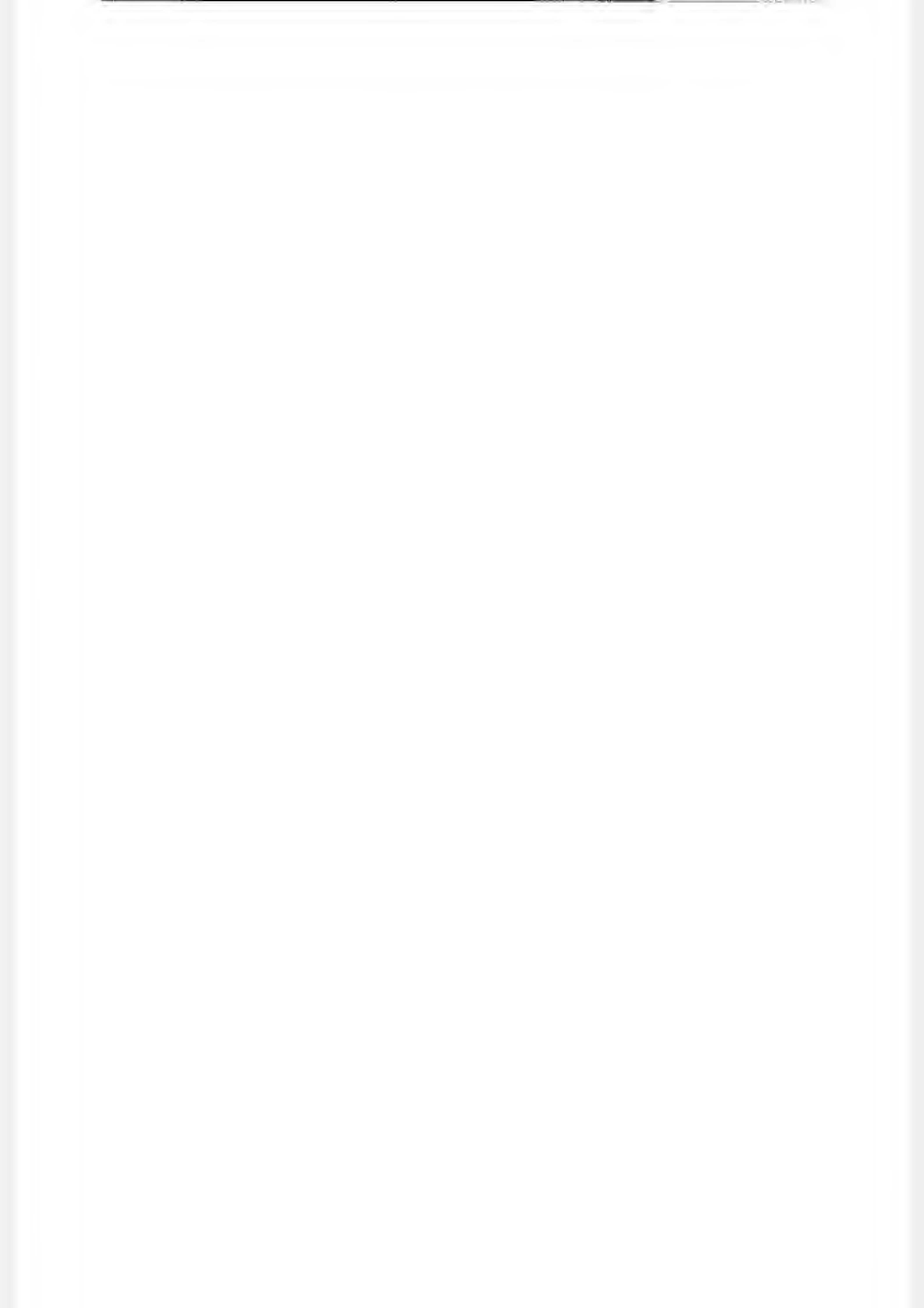
١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

منشورات دار فائز البدراني للنشر

ص ب ٩٢٨٢٩ الرياض ، رمز بريدي ١١٦٦٣

هاتف وفاكس ٤٩١٨١٣١


بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم[1]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإنه لا يخفى علينا جميعًا اهتمام الشعوب والأمم بتراثها الأدبي الذي هو جزء لا يتجزأ من تاريخها مهما بدا هذا التراث غير ذي بال عند بعض أبنائها بحجة تغير أنماط الحياة، وتبدل مفاهيم المجتمع، واختلاف متطلبات العصر.

وقد كنت واحدًا من الذين ينظرون إلى تراثنا الشعبي هذه النظرة غير الصائبة، لكن اهتمامي باقتناء ودراسة المصادر التاريخية لهذه البلاد العزيزة قد جرَّني الى هذا النوع من الأدب بعد أن وجدت فيه رافدًا مهمًا من روافد مصادرنا التاريخية ليس بوصفه مَعْلمًا من معالم حياة آبائنا وأجدادنا فقط، بل إنه وثيقة مهمة نطّلع من خلالها على تفاصيل دقيقة عن حياتهم وطبيعة عصرهم في وقت لم يكن هناك وثائق خطية أو صوتية مدعمة بالصور الفوتوغرافية أو السينمائية لتسجيل تفاصيل حياة الأجداد وتوثيقها.

(١) هذه المقدمة مقتبسة من كتابنا: "أشعار قديمة تنشر لأول مرة"، نشرناها بتصرف قليل لتشابه الموضوع في الكتابين!

وعلى مدى السنوات الماضية تكونت لديّ حصيلة لا بأس بها من الأشعار والقصص التي ربما لم يسبق نشرها، أو نشرت برواية تحتاج إلى تحقيق أو تعليق. وقد رأيت أن أنشر ما أعتقد أنه يستحق النشر من هذه الأشعار والقصص التي قد تفيد الباحثين والمهتمين في هذه الجوانب.

أمّا ما تفرد له الصفحات الشعبية اليوم من الشعر المعاصر، وما تقدمه المطابع التجارية على أنه من موروثنا الشعبي، فأعتقد أن الغالب منه يسيء إلى الأدب الشعبي، ويعيق ثقافة الجيل، ويصرفه عن الاهتمام بالأدب العربي الفصيح، وذلك للهوّة الكبيرة بين أغراض الشعر عند أجدادنا وبين أغراضه عند أرباب الغزل المراهق أو المدائح السامجة، هذا من ناحية؛ أما من ناحية أخرى فألفاظ أجدادنا أعرابية فصيحة، في حين ينادي كثير من محرري الصفحات الشعبية اليوم إلى نبذ تلك الألفاظ واختراع مفردات جديدة باسم التجديد والحداثة، وهذا في رأيي المتواضع سوف يؤدي إلى إضعاف الأدب الشعبي والابتعاد به عن لغتنا الجميلة.

وإضافة إلى القصص القديمة؛ فقد ضمنت الكتاب بعض القصص الاجتماعية الحديثة والمعاصرة مما رأيت أنه يستحق النشر والتدوين لما فيه من معاني إنسانية نبيلة وشيم رائعة، هي استمرار للشيم العربية العريقة التي تركها لنا أجدادنا، ولنعلم أن

الدنيا لا تزال بخير وبخاصة في بلادنا العزيزة، فالناس هم الناس، وإن أخذت الحياة الراغدة التي نعيشها الآن بعض تلك المكارم، فإنها لن تأخذ الكل، وستظل هذه البلاد الطاهرة منبعًا للخير وللوفاء وللمروءة إن شاء الله.

ولحرصي الشديد على تحقيق القصص والأخبار والتأكد من صحتها، فقد كلفني ذلك وقتًا طويلاً، وجهدًا شاقًا من البحث والتمحيص في المصادر التاريخية، وفي مراجعة الرواة ومناقشتهم، ونقل الرواية عن أكبر عدد ممكن من الرواة لمعرفة مدى أوجه الاختلاف والاتفاق في مضامينها!

كما أود أن أشير هنا إلى ما خرجت به من تصور خاص حول مدى مصداقية الرواية العامية من خلال تجربتي الطويلة مع الرواة، ومن خلال ما لحظته على كثير من إصدارات الأدب الشعبي. فالرواية العامية تتسم بالتضارب وتداخل القصص، ولهذا فإن الكاتب ينبغي له أن يبذل مزيدًا من الجهد لغربلة الروايات وتقييم مقدرة الراوي، وعدم أخذ كل ما يتفوَّه به المتحدثون العوام دون تمحيص واختبار!

بقي أن أشير إلى أنني حاولت في هذا الكتاب جمع ما توافر لدي من القصص والأشعار المتعلقة بقبيلة حرب التي هي واحدة من أكبر القبائل في الجزيرة العربية، راجيًا من القارئ الكريم أن

يدرك أن حصر هذا الكتاب في تدوين ما يخص قبيلة المؤلف يأتي من باب التخصص وليس من باب التحيز.

كما أود أن أعترف أيضًا بأن ما جمعته في هذا الكتاب لا يمثل جميع القصص والأشعار الخاصة بهذه القبيلة، وإنما هذا ما تمكنت من جمعه مع اعتذاري عن النقص والتقصير واختلاف الرواية أحيانًا عما لدى بعض القراء الكرام والباحثين الأعزاء.

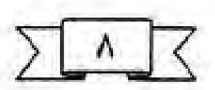
وقبل ختام هذه المقدمة؛ أود أن أشكر كل أولئك الذين غمروني بتشجيعهم، وأتحفوني بعبارات الثناء والإعجاب بعد اطلاعهم على مادة الجزئين الأول والثاني من إصداري الأول: "أشعار قديمة تنشر لأول مرة"، الذي لم أكن أتوقع أن ينال هذا الزخم من الاهتمام والقبول عندهم، وأخصّ بالذكر:

صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض.

صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز أمير منطقة حائل.

صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة مكة المكرمة.

صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن خالد أمير منطقة عسير.



الأستاذ حمد بن راشد أبو نيان وكيل إمارة منطقة حائل (سابقًا).

العلامة الشيخ حمد الجاسر – رحمه الله –.

وغيرهم من القراء الكرام الذين غمروني برسائل الإعجاب والثناء والتشجيع.

وأخيرًا؛ فلا يفوت المؤلف أن يشكر كل من كان له فضل عليه في تزويده بشيء من مادة هذا الكتاب، سواء كان ذلك منقولاً أو مسموعًا، ولا يسعني إلاّ أن أقدم للجميع خالص شكري وامتناني، وجزاهم الله خير الجزاء.

المؤلف

مقدمة الطبعة الأولى/ محرم ١٤١٩هـ / مايو ١٩٩٨م

مقدمة الطبعة الثانية/ صفر ١٤٣٢هـ / يناير ٢٠١١م



١- قصة البِلاَلي مع جاره المطيري

دخيل البلالي من الوسدة، من بني سالم، من قبيلة حرب، ذلك الرجل الذي ضرب أروع مثال في الوفاء والتضحية دون رفيقه وابن جاره. وقد جرت هذه القصة في عهد الأمير محمد بن رشيد (١٢٨٩-١٣١٥هـ)، هناك من يرى أنها حدثت في عهد عبدالعزيز بن رشيد أثناء حرب الشنانة سنة **١٣٢٢**هـ.

ومفاد هذه القصة النادرة أن دخيل البلالي كان له جارة من قبيلة مطير توفي زوجها في إحدى الغارات، ولم يترك لها سوى ابنًا صغير السن. وفي أحد الأيام أراد البلالي أن يغزو بعض القبائل المعادية، كما هي عادة العرب في ذلك الحين، فأراد الصبي أن يرافقه وحاول البلالي أن يعتذر له عن ذلك لصغر سنه، ولكن الصبي أصرّ على طلبه، كما أبدت أمّه رغبتها أيضًا في اشتراك ابنها في هذه الغزوة طمعًا في الكسب، وليتعلم ويتدرب على الغزو والقتال. ولم يجد البلالي بُدًّا من الموافقة تقديرًا لحق الجوار.

وحرصًا من أم الصبي على ابنها الوحيد؛ فقد جاءت إلى

البلالي لتوصيه وتؤكد عليه أن يحرص على سلامة ابنها، وتوسلت إليه أن يَعُدَّه أمانة معه يحافظ عليه كما يحافظ على أعز أبنائه.

وخرج البلالي والغلام، وأغاروا على بعض الأطراف التابعة لابن رشيد، لكنهما وقعا في قبضة رجاله، وأُخِذَا أسيرين إليه.

ولما أحضروهما إلى ابن رشيد، أصدر حكمه بإعدامهما. وهنا قام إليه دخيل البلالي متوسلاً، وقال: "يا طويل العمر! إن هذا ابني وهو حَدَث كما ترى، ووالله إنه وحيد أمه وستموت إن جاءها خبر مقتله، أما أنا فهذه رقبتي فاقتلني".

واستجاب الأمير لتوسلاته، واكتفى بقتله، وأمر بإخلاء سبيل الغلام. ولما هدأ روع الغلام أخبرهم بالحقيقة المذهلة، ويقال إن ابن رشيد ندم على قتل دخيل لأنه رجل وفيّ وشجاع، ولكن سبق السيف العدل!

أما والدة الصبي فإنها لما عاد إليها ابنها سالمًا -كما تقول الرواية- وعلمت بالخبر فقد تأثرت كثيرا وأكبرت فعل هذا الرجل الشهم، لكنها لم تجد ما تكافئ به صنيعه إلا الشعر الذي يعد وسام الشرف ونوط التقدير عند العرب، فقالت من قصيدة طويلة:

البارحة عيني حريبٍ لها النوم

تسوقها لوعات غبْر الليالي

لَكَن في عيني حزازات وهزوم[1]

أنحب ولاني في نحيبي لحالي

صار القضا واللي حدث شي مقسوم

الله يبيحك يا دخيل البلالي

مرحوم يا غيث المساكين مرحوم

اللي فدا بروحه شريدة عيالي[2]

الأجنبي في قصرته دوم محشوم

أبدَى عَلَيْه من الرفيق الموالي[3]

... إلخ[4].

وبالمناسبة فإن هناك قصصا مشابهة لقصة البلالي حدثت مع بعض فرسان القبائل الأخرى، ولكن الوديع لم يقتل فيها كما

---

(١) لَكَن: أي كأنَ، واللام للتوكيد. هزوم: جمع هزم، وهو من أمراض العيون المولمة.

(٢) شريدة: أي بقية.

(٣) قصرته: اسم مصدر ومعناه الجوار. أبدى عليه: أي آكد وأولى عليه في التقدير وحسن المعاشرة من ذويه.

(٤) رواية: الشيخ طلال بن يوسف الذويبي وغيره..

حدث لوديع البلالي، ومن ذلك قصة عبيد بن هدلان الزعبي مع ابن جارته الظفيرية حيث غزا على بني حسين وأسروا وديعه، فعاد إليهم واستخدم الشجاعة والحيلة حتى تمكن من إطلاق سراح الغلام الظفيري، وفي ذلك يقول من قصيدة طويلة:

يقول ابن هدلان ولاني بواحد
يباهي بروحه والزمان وطاه
كم سابقٍ فكّيت منها حديدها
وكم مِشعَلٍ يوضي عَلَيْ سَنَاه
يا وَيْش عذري لا لفينا على أمّه
تشق جيبٍ بايحٍ عَزَاه
حذفت روحي يوم شفته مكتّف
أسيرٍ حسيرٍ في يدين اعداه

.... إلخ[1].

وهناك أيضًا قصة أخرى حدثت لبعض فرسان عنزة، وهي تشبه قصة هدلان السابق ذكرها، وقد أورد هذه القصة الشاعر عبدالله بن عبار العنزي ولم يجزم إن كان صاحبها الفارس راضي القاصد الدوامي أو الشيخ باتل بن أديهم الحازمي العنزي، وفي

---

(١) من آدابنا الشعبية، منديل الفهيد، الطبعة الأولى، ج٣، ص١٨٣.

ذلك يقول صاحب القصة من قصية له:

دهلوس يا ابن عمَيْر عيبٍ عَلَيَّه

أتـرك وديعـي مـا تجـي لـه خبـارا

أمـه تهـل مـن الـدموع الخفيـة

وابـوه ينـشدني عنـه ويـن صـارا

مـاني ولـد عفـنٍ يخلّـي خوَيّـه

لـو صـارت الخـوّات جيـزة نـصارَى

نصلّها صـل الـمَحَص مع رِكِيـّة

والعمـر مـا ياقـاه كثـر الـمدَارَى[1]

.... إلخ[2].

وهناك قصة أخرى متشابهة وهي قصة فلاح المطيري التي سنوردها بعد هذه القصة.

كما يذكر رواة شمر أيضًا أن هناك قصة مشابهة بطلها الفارس غريب الشلاقي الشمري.

---

(١) نصلّها: من صَلّ: أي حدد. والمحص: بفتح الميم والحاء، وجمعها: محوص، وهي الحبال. والركية: هي البئر العميقة. والمدارَا: أي الحرص والاحتياط. والمعنى أننا نجلب نفوسنا على الأخطار.

(٢) قطوف الأزهار، للشاعر عبدالله بن عبّار العنـزي، ط١، ج٣، ص١٧٦.

٢- قصة نويشي الحربي

نويشي بن ناشي من المشاعلة من بني عمرو من حرب.. أصبحت قصته في حماية الخوي أشهر قصة يتناقلها أعراب نجد في هذا الباب، ويضربون بها المثل في تعظيم حق الجار والخوي، والخوي هو الرجل الغريب الذي يكون في ذمة أحد رجال القبيلة.

كان نويشي يعيش في وادي الفُرع الواقع في منطقة المدينة المنورة، ووادي الفُرع تختص به قبيلة بني عمرو من حرب، ويبدو أن نويشي قد عاش في القرن الثالث عشر الهجري وأوائل الرابع عشر، ولا يزال أحفاده يعيشون في منطقة القصيم، حيث استقروا بها بعد نزوح بني عمرو إلى نجد.

وخلاصة قصة نويشي أن رجلاً يقال له اليتَيِّم من ذوي بُدَيْر من مطير، كان قادمًا إلى وادي الفُرع، وكان في حماية نويشي وعمه، وفي إحدى المرات ذهب المطيري في حاجة له، وفي الطريق تعرَّض له بعض أعدائه لسلب ما معه وعندما حاول مقاومتهم قتلوه، ولم يصدقوا ادعاءه بأنه يتمتع بحماية نويشي أثناء وجوده في ديار بني عمرو.

ومن غريب الصدف أن الذين اعتدوا على المطيري من

جماعة نويشي وكان معهم خال نويشي وابن عمه مباشرة واسمه مطلق.

وعندما علم نويشي بالخبر، تأثر كثيرا لكنه لم يتردد في أخذ الثأر والانتقام ممن اعتدوا على جاره. وقد فعل ما صمَّم عليه، حيث رصد للمعتدين وبدأ بقتلهم واحدًا واحدًا، وهنا سارع جماعة المقتولين والمتهمين باللجوء إلى شيوخ بني عمرو للتوسط مع نويشي وإرضائه حتى يتوقف عن قتل المزيد، فتم التوسط على أن يُعفى نويشي من دية القتيلين، ومن غرم الثالث الذي بترت يده، وأن يُدفع له علاوة على ذلك دية أربع رقاب. وفي ذلك يقول نويشي من قصيدة طويلة يسندها على زوجة البديري:

يا راكب اللي شايباتٍ مقاريه

مثل الظلِيْم إلى ضرب له قرارا

يَسْرَح ومَمْسَاه البدَيْري حراويه

اللي نزل بَيْن السَّهَل والوعارا

خوِيِّنا يا مِتْلِف الروح نغليه

واللي ورا الصبيان دربه عسارا

مطلق[1] مطيحه بايمن السوق شوفيه

فوقـه رَمَـن اشنودهـن العـذارا

أرخصت عَمّي ما احسب القلب يصخيه

عنـد الخـوي كنـّه حتيـن الجفـارا

أقفـى مـع الطـاروق دَمّـه يباريـه

دمـه مـع الطـاروق يغـشى الجـدارا

أَحْدٍ سمعْ، وَاحْدٍ بالاعيـان راعيه

البـدو والحـضران فوقـه صـيّارا

.... إلخ الأبيات[2].

وقد اشتهرت قصة نويشي بين القبائل في نجد والحجاز حتى أن رجلاً من الحرصان من ميمون من مطير واسمه فلاح كان يعرف قصة نويشي، وحدث له قصة مشابهة، فقال:

لوا هَنِي نويشي اللي قضَى الدَّيْن

وجهـه كمـا القمْرا مـن أوَّل شـهْرها

---

(١) مطلق أحد المقتولين، وهو من أعز أقارب نويشي، لكنه قتله نقاءً لوجهه وثأرًا لجيرة خويّه.

(٢) أورد هذه القصة بروايات مختلفة كل من:

ابن بليهد في: صحيح الأخبار ١٩٣/٥ و٢٤/٤، والبلادي في: نسب حرب ص٢٢، وابن عقيل الظاهري في: نجد في عصور العامية ٥٤/٣.

وانـــا ديـــوني مرمـــساتٍ زمانيـــن

أمْـــشي وكِنـــّي دارعٍ في غـــدَرْها

أحْيَا اليَتَيُّم واقعـده بالنبـا الزيـن

يـستاهـل البيـضا بْـدَارِ حَـضَرْهـا

عقب اربعة واثنين يَسْلَم من الشين

غيــر اليميــن اللــي نويـشي بترهــا

ويقال إن ابن رشيد أيضًا قد استشهد بقصة نويشي عندما جاء إليه رجل من شمر يشتكي عليه من خفر ذمته والاعتداء على من هو في جواره، وسأله ماذا يفعل، فقال له ابن رشيد: اسأل نويشي الحربي.. ولما سأل الشمري عن قصة نويشي وأخبر بها تمثل بقصيدة المطيري السابقة.

ولأن الشاعر في الأبيات السابقة قال: "عقب أربعة واثنين يسلم من الشين"؛ فقد اعتقد الرواة المتأخرون أنه قتل ستة أشخاص، مع أن رواية أهل وادي الفُرع وعلى رأسهم مريبد بن هنود رحمه الله يقول: إن نويشي جرى إرضاؤه بست رقاب، اثنتان قتلهما فعلاً، وأربع أخذ عوضهما ودفعه لجارته. وأنا أرجح هذه الرواية للأسباب التالية:

١ - أن الشاعر فرق بينهما ، ولم يقل ستة.

٢ - أن قصيدة نويشي نفسه لم تشر إلا إلى اثنين والثالث المصاب.

٣ - أن هذا ما يؤكده رواة بني عمرو أهل وادي الفُرع وهو الموقع الذي حدثت فيه القصة.

وقد استشهد كثير من الشعراء في قصة نويشي ، لكنهم أخذوا الرواية التي تجعل القتلى ستة ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر :

١ - الشاعر الكبير محمد بن عبدالله العسيلي الذي يقول من قصيدة طويلة له :

وانويشي اللي خلّد الوقت ذكراه

له مركزٍ في قمّة المجد مرموق

راع النقا زاح الملامة بيمناه

دون الخوي ما يلحقه كل ملحوق

قص أربعة واثنين والسابع أعياه

وقطْعَ اليمين اللي على الجنْب مطروق

٢ - وقال الشاعر رباح بن خلف الشمري من قصيدة له موجهها إلى محمد بن عوض المعَمَّري الحربي :

جاني جواب يحمل اسرار وانوار

يبشر بطياته عدم ضيق بالي

من الصديق اللي كتب لي بالاسطار

دوني بذل جهده بجاهٍ ومالي

ود الخبر للي يودون الأخبار[1]

بيت الشرف والجود وأهل الكمالي

لاهل المضيف اللي يعزون للجار

الجار يحسب من حساب العيالي

أهل دلالٍ تنفّد البن وابهار

وانجورهم بالليل دايم تلالي

إلى أن يقول:

موقفك شرّف دوننا يا ابن الأخيار

حق الخوي تعطونه أول وتالي

ونويشي اللي للعرب حط تذكار

بيض تغزز له بروس الجبالي

.... إلخ[2].

---

(١) ود الخبر: أي أوصل الخبر. للي: أي للذين.

(٢) كتاب: سفير الضمير، ديوان شعر، محمد بن عوض الحربي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ص١١٩.

٣- وقال الشاعر سبيل بن سند من قصيدة له مشهورة:

ونويشي اللي بالخوي كل اوحاه

بِثْرَى خَوِيّه عن عوانيه نايب[(١)]

٤- وقال غزاي بن مطر الطريسي من قصيدة له يمدح جماعة نويشي وهم المشاعلة من بني عمرو:

منهم نويشي كان حل المجالي

سجل له التاريخ بالمجد مكتوب

عند الخوي ما حَسَّبوا بالموالي

أنهى الملامة واشقر الدم مصبوب

٥- وقال الشاعر مرزوق بن مبشر المزيني من قصيدة طويلة:

والفعل الآخر نور يَجْلَى الظلامي

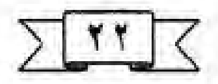
فِعْلٍ جَلَى نوره صدا كل ليلي

فِعْلٍ يزيل من الوجيه الملامي

ما له مثيل ولا ذكر له بديلي

---

(١) بثرى: أي بثأر.



نويـشي اللــي قــال فيــه الــدهامي

اللي شكى من ضيم جِمْلٍ مْحِيلي

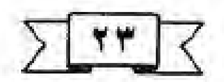
ولعله من المناسب هنا أن نشير إلى أن هناك قصصًا مشابهة لقصة نويشي منها قصة دهش الدعجاني من قبيلة عتيبة الذي قتل ابن عمه عندما اعتدى على مستجيره[1].

وإنما أوردنا هذه الإشارة لكثرة الخلط بين هذه القصص بسبب جهل الرواة بالقصص المشابهة.

وللأسف الشديد فقد ظهرت في الآونة الأخيرة روايات مغلوطة كل منها يدَّعي هذه القصة، إما بسبب تشابه اسم قبيلة المشاعلة مع قبائل أخرى، أو بسبب تشابه اسم نويشي، مع أن تلك الروايات غير صحيحة والدليل أنها لم تظهر إلاَّ مؤخرًا، بينما قصة نويشي مشهورة في نجد منذ القدم، حيث أوردها ابن بليهد في كتابه الصادر قبل نصف قرن، كما أن اسم نويشي المشيعلي الحربي مثبت في الوثائق التاريخية، ومنها وثيقة مؤرخة في ١٣٠٦هـ، وأخرى سنة ١٣٠٧هـ، وأخرى سنة ١٣٠٩هـ، بينما أشك في أن يثبت أصحاب الروايات الأخرى بالوثائق

---

(١) شاعرات من البادية، ابن رداس، ج١، ص٣٢٩.



شخصًا بهذا الاسم وفي الحقبة نفسها.

ومع أن كثيرًا من المهتمين بالأدب الشعبي قد أوردوا قصة نويشي كما هو مبين في الحاشية أدناه؛ إلاّ أن أحدًا لم يورد قصيدة نويشي بهذا القدر من التحقيق[1].

---

(١) انظر:

١) من آدابنا الشعبية، للفهيد، الطبعة الأولى، ج٤، ص٥٦.

٢) صحيح الأخبار، ابن بليهد، ج٤، ص٢٤، وج٥، ص١٩٣، ط٣.

٣) نسب حرب، البلادي، ص٢٢٢.

٤) نجد في عصور العامية، ابن عقيل، ج٣، ص٥٤.

٥) ورواها لي على نحو ما أوردته كل من: الشيخ مريبد بن حامد بن هنود ابن ربيق، وبجاد بن مقبل الذويبي، والعمدة حمد بن مطلق الحربُص المطيري عمدة البادية بعنيزة، وعبدالله بن مخيزيم الحنيني من سكان الدليمية، ويقول حدثني بها حفيد المطيري صاحب القصيدة سنة الكسوف، أي سنة ١٣٧١هـ.

٣- قصة الجبري مع جاره المطيري[(١)]


صورة عليان الجبري (ت ١٣٦٤هـ)
راوي القصة وشقيق بطلها

هذه القصة نوردها كما رواها فهد المارك في كتابه، حيث يقول: (في سنة ١٣٠٦هـ جاء إلى علي الجبري الحربي[(٢)] رجل من قبيلة مطير فارًّا من أهله خوفًا من أحد رجال قبيلته الذي اعتدى عليه بسبب حادثة ما، فاستجار به، فظل المطيري بجوار الجبري مدة إقامته عزيزًا مرفوع الرأس موفور الكرامة، كشأن كل مستجير عند أي عربي.

كان للمستجير ابن تجاوز سن الرشد، كما كان لعلي الجبري ابنان أحدهما يضارع ابن المطيري بالسن والثاني ينقص عنه قليلاً.

ولما كان المطيري مطالبًا بالثأر من قبل رجال قبيلته، فإنه بطبيعة حاله يكون محتاطًا للأمور المفاجئة، ولذلك كان لا يترك

---

(١) من شيم العرب، فهد المارك، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٢، ص٥٣ وما بعدها، نقلناها باختصار.

(٢) علي بن مرزوق الجبري السَّهْلي من عوف من قبيلة حرب، وهو شقيق عليان الجبري الشاعر الشعبي المعروف المتوفى عام ١٣٦٤هـ.

بندقيته فارغة من الذخيرة، وفي ذات يوم جاء ابنه وأخذ بندقيته بغفلة من أبيه وراح يعبث بها.. وكان أحد ابني علي الجبري قريبًا منه عندما كان يعبث ببندقية والده، وفي إحدى حركات الفتى السريعة التي لا شعور بها وضع أحد أصابعه على زناد البندقية، بعدما أزاح مسمار الأمان، فكانت النتيجة أن انطلقت الرصاصة، وأصابت مقتلاً من الابن الأصغر للمجير، فخر صريعًا على الفور!!

كان والد المقتول ساعتذاك غير موجود، فهب نفر من صبيان القبيلة يبدون حماسًا وضجرًا من تصرف القاتل، ولكن أم القتيل زجرت الفتيان الطائشين قائلة: لا شأن لكم في الأمر ما دام المقتول ابني والقاتل ابن مستجيرنا!.. ثم مضت بحديثها إلى أن قالت: إن ابني لقي حتفه بحكم القضاء والقدر، ومن المستحيل أن تعود الروح إليه من جديد، وإن أي تصرف أهوج يصدر منكم أيها الفتيان بحق مستجيرنا فإنكم مسؤولون عنه!!

تراجع الصبيان عن فورة غضبهم، وذهبت الأم تدثر ابنها المسجَّى بعباءتها، وبعد لحظة وجيزة جاء والد الفتى فأُخبر بالأمر

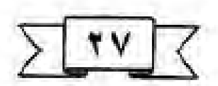
الواقع، فما كان من أمره إلاّ أن ذهب إلى مستجيره الذي وجده بحالة ارتباك وقلق، فطمأنه وأبدى له عدم اهتمامه بالقضية، مؤكدًا له أن أجل ابنه انتهى من عالم الدنيا وأنه لو لم يمت بسبب هذه الطلقة الطائشة لمات بهذا اليوم نفسه.. وبهذه الساعة[1] بالذات بسبب آخر!

وبعدما أدخل [علي الجبري] إلى قلب مستجيره الطمأنينة وهدأ روعه، طفق وفئة من ذويه الأقربين يواري جثمان ابنه!

وحيد الأبوين يلاقي المصير الذي لقيه أخوه!

كان صباح عيد الفطر، عندما كان فتيان القبيلة يمرحون وينشدون الأهازيج موالين رقصاتهم الشعبية، ويطلقون الرصاص من أفواه بندقياتهم في الهواء، وكان ابن الشؤم من ضمن أولئك الفتيان يشاركهم أفراحهم، يرقص كما يرقصون ويطلق الرصاص من فوهة بندقية والده المشؤومة الأخرى، وكان والدا الفتى المقتول لم يشاركا القبيلة بأفراحها حزنًا على ابنهما الذي لم يتجاوز مصرعه المدة التي يندمل بها جرح الحزن.. وكان

(١) هكذا في الأصل، والصواب أن يقول: في هذا اليوم نفسه، وفي هذه الساعة ...إلخ.



المستجير وزوجته هما الآخران لم يساهما[1] بأفراح العيد، بحكم ما يعانيانه من أثر الصدمة التي سببها لهما ابنهما وفي هذه الفترة بالذات سمع المطيري أهازيج الصبيان وإطلاق الرصاص، فهب يسأل زوجته عن ابنه، فلم تفده عن وجوده، فراح يتفقد بندقيته فلم يجدها في مكانها المعتاد الذي وضعها فيه، فنقب عنها هنا وهناك فلم ير لها أثرًا. فأعاد الكرة يسألها أين البندقية؟.. فكان جوابها سلبيًا. فصاح بها: لا يكون الشقي الملعون أخذها؟.. فأومأت الزوجة برأسها بإشارة تعبر عن جهلها بالبندقية، وعن غضبها على ابنها.. فقال: لا بد أن وجه الشؤم التقط البندقية.. ثم أردف قائلاً: قبحه الله من ابن منحوس. منذ أن رأيته لم أر اليوم الأبيض.. هأنذا ذاهب إليه لئلا يجلب لنا مصيبة أخرى..

هرع الأب يهرول ليأخذ البندقية من ابنه، وقبل أن يصل إلى ملعب الصبية لاحظ أن الفتيان تركوا رقصهم وأغانيهم وأن الطلقات النارية انقطع صوتها، وعندما دنا منهم أكثر وجد الضجيج الممزوج بالبكاء!! فأسرع بجريه ليتحقق ما الأمر.. وعندما توسط الملعب وجد ابنه ملقى على وجهه كما وجد ابن

---

(١) هكذا في الأصل، والصواب: لم يسهما ...إلخ.

مجيره بحالة مماثلة، فراح يقلب ابن مجيره فوجده مصابًا برصاصة تحت إبطه الأيسر فوضع يده على صدره ليجس نبضه فوجد قلبه ساكنًا عن الحركة، فراح يسأل ما الخبر؟.. فقيل له إن ابنك أطلق رصاصة من بندقيته فقتلت الفتى!.. وما أن سمع هذا النبأ حتى سقط مغشيًا عليه!.. وفي هذه اللحظة كان والد الفتى قد وصله خبر السوء، فجاء ووجد الأمر قد نفذ بابنه، كما وجد مستجيره وابنه المشؤوم مغمى عليهما، فما كان من أمره إلا أن عزى نفسه بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون!! ثم أردف قائلاً: ترى لو أن القضية جاءت عكسًا للواقع وكان القتل من ابني لابن جاري؟ فماذا يكون موقفي؟ وماذا يقول الناس؟ فهل يصدقون أن القضية جاءت خطأ؟ أم يقولون إن ابني تعمد هذا الخطأ ليأخذ الثأر لأخيه؟.

قال الرجل هذه الكلمات، ثم ختم حديثه بعبارات تشير إلى المعنى القائل: بعض الشر أهون من بعض!

أي كأنه يؤكد بأن مصيبته بقتل ابن جاره لابنيه الأول والثاني الذي هو عزاؤه الوحيد في حياته أهون من أن يكون القتل من ابنه لابن جاره.. ثم بعد ذلك أمر جماعة من ذويه أن يواروا جثمان

ابنه، كما أمر من يسعى بإيقاظ ابن جاره القاتل وأن يبعده خوفًا عليه من أبيه. كما تولى هو بنفسه إيقاظ الأب، وقد جاء تقديره بشأن عزم الأب على قتل ابنه طبقًا للأمر الذي كان يتوقعه، ذلك أنه ما إن استيقظ من غيبوبته حتى راح يهذر كالمجنون يسأل عن ابنه المشؤوم الذي سوّد وجهه بأعماله التي لا تطاق، وقد ظل في بيت مجيره الذي راح يهدؤه ولم يتركه حتى أخذ منه عهدًا بأن لا يمس ابنه بسوء.. وقبل أن يخرج من بيت مجيره كان قد اتخذ قراره النهائي القاضي بذهابه لقبيلته غير مبال بما يترتب عليه من سوء العقاب الذي هرب من أهله خوفًا من الانتقام الذي سيناله ممن كان في ذمته له ثأر.. ولذلك ودّع مجيره في الحين الذي خرج من بيته وداع المسافر الذي لن يعود.. وكم حاول مجيره أن يعوقه عن همته، ولكنه أصر على العودة.. فاستدنى الرجل رواحله ورحل نحو قبيلته، وما أن وصل هناك حتى طرح نفسه بين يدي القوم الذين يطالبونه بأخذ الثأر، قائلاً لهم: أريحوني من هذه الحياة التي هربت منكم خوفًا عليها، وها هي الآن أصبحت عبئًا عليّ!!

ولكن طلبة الثأر الذين كانوا يتربصون به الدوائر عندما

علموا بما حل به من المصائب تركوه وشأنه، بل أعلنوا عفوهم عنه!

استهتار بغير قصد!

ظل الرجل بين قومه مدة وهو بسَدْرة[1] من أثر الصدمة التي سببها له ابنه المنحوس، وكان كلما نظر إلى ابنه عادت إلى ذاكرته تلك الذكرى المؤلمة، فأصبح ينظر إلى ابنه كأنه شيطان.. وبعدما مضى على رحيله عن مجيره مدة تقارب السنة؛ عندئذ صاحت به زوجته قائلة:

● ها فلان؛ أنسيت ما في ذمتك للرجال؟

– ماذا تقدصين؟..

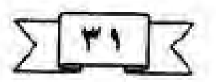
● ألا تعلم أننا منذ تركنا مجيرنا الحربي حتى الآن أصبح لنا من المدة ما يقرب من السنة الكاملة؟..

– بلى أعلم ذلك..

● إذن لماذا لا تختار نخبة من خيرة رجال القبيلة وتذهب لزيارته؟

– الحق كله بجانبك، ولم تقولي إلا العدل والصواب.. ولكن إذا ما أزره ماذا يعمل؟ أكثر من أن يأتي ويقتل ابننا الشقي وجه

(١) السَّدْرة: هي الذهول وتوقف التفكير.



الشؤم، وأحب إلي أن يقتله ويريحني من رؤيته، لأنني كلما أنظر إليه أتذكر ما قام به من الأعمال التي جعلت الدنيا تسْوَدُّ بوجهي !!

• عندما يأتي مجيرنا سوف لا يكون الدافع لمجيئه أخذ الثأر من ابنك.. فتلك قضية تجاوز عنها الرجل بكل كرم وسماحة نفس؛ وإنما يأتي لكونك قضيت سنة كاملة دون أن تزوره وتعلن له تقديرك له وترفع له الراية البيضاء على مواقفه المشرفة !!

– لا تؤاخذيني يا ابنة فلان؛ لقد كنت في غيبوبة وسَدْرة عن ملاحظة هذه الناحية بالذات.. لقد كان تفكيري محصورًا على أن مجيري سوف يأتي ويقتل ابني عندما تمضي مدة السنة الكاملة.. ولذلك لست مفكرًا بزيارته، أما الآن فلا يسعني إلا أن أذهب وأطلب من أعيان قبيلتي بأن يذهبوا معي إلى مجيري، ونرفع له كل ما نستطيع رفعه من تقدير وإجلال وراية بيضاء نضعها فوق رؤسنا !!

• قالت: هذا هو أقل ما ينبغي أن تقوم به مع ذلك الرجل الذي أكرم مثوانا طول المدة التي نحن بجواره هو وأهله، كما أنه

تحمل منا ما هو فوق طاقة الإنسان. ولكن الذي أنصحك به أن تبادر من الآن، لأن السنة أوشكت أن تنتهي..

– قال: حسنًا، سوف أباشر بسعيي في الموضوع غدًا.

● لا تؤخر عمل اليوم للغد.. بل من الآن اذهب إلى أعيان قبيلتك واحدًا واحدًا، وكلهم قد فهموا القضية ولا أظن أحدًا منهم يتأخر عن السفر لزيارة ذلك الرجل الكريم، وإياك أن تتأخر لحظة واحدة لأن التأخر له آفات وآفات..

ذهب الرجل من فوره إلى رجال قبيلته الأعيان، فوجد كل من طلب منه الذهاب إلى مهمته موافقًا دون تردد ولكنهم كانوا متفرقين، فشد راحلته يتبع منازلهم، فأخذ مدة أطول مما ينبغي ولم يعد إلا وقد مضى على السنة شهران، ولكنه استطاع أن يشكل مجموعة لا بأس بها من مشاهير رجال قبيلة مطير البارزين الذين عينوا الزمان والمكان الذي يتجمعون فيه، فعاد إلى زوجته يخبرها بنجاح مهمته..

ولكنه وجدها متشائمة على فوات الوقت الذي مضى منه شهران وسيمضي منه شهر آخر حتى يتجمع القوم في الزمان والمكان المعين، كل هذا التأخير لا يوحي بالخير بالنسبة لتقدير

الزوجة، أما زوجها فلم يكن متشائمًا بالقدر الذي تحمله زوجته وهي منذ أول يوم انقضت فيه السنة في همّ طويل وقلق مستمر.. لا يهدأ لها بال ولا يطيب لها نوم، خائفة من أن يأتي مجيرهم بعد مضي المدة المحددة!!

ألفة الكلب ويقظة الزوجة أنقذتا الموقف!

كان الثلثان الأولان من الليل قد انصرما، وبدأ أول الثلث الأخير منه، وكان الفصل شتاء، والنجوم حجبتها السحب المتراكمة، والليل حالك السواد، عندما بدأ الكلب يهر بقوة وعنف، يطارد الرجال الذين جاءوا خلسة ليهجموا على أهله! وفجأة سكت الكلب عن نباحه، لماذا يا ترى سكت هذا الحيوان.. بعد ما كان مستعدًا أن يمزق أشلاء المعتدين؟ أجل سكت بعدما عرف علي الجبري مجير سيده السنين الطويلة.. فالكلب يفهم أن عليًا كالأخ لسيده ومن المستحيل أن ينقلب الأخ عدوًا ليهاجم أخاه.. ولذلك لم يسع الكلب إلاّ أن ترك حماسته وعكف ذنبه وراح يتمسح بعلي ويقفز من أمامه، وينط من خلفه، فأصبح حارسًا إياه بعد ما كان مهاجمًا له!! كان هذا الانقلاب في سلوك

الكلب من مهاجم عنيف إلى حارس أمين. فوقف علي مبهوتًا لا يستطيع أن يسير إلى الأمام خطوة واحدة، وبطبيعة الحال وقف رفاقه المهاجمون خلفه ينظرون أوامره.

ويقول راوي الحادثة الذي كان شاهد عيان، وفي الوقت ذاته شقيق علي الأصغر وهو عليان الجبري المتوفى سنة ١٣٦٤هـ، والذي اجتمعت به بمدينة الرياض، يقول: حينما بدل الكلب هجومه العنيف باستسلام وحراسة، عند ذلك أصابنا جميعًا انفعالات نفسية خلقت فينا رد فعل.. ويزيد الراوي تأكيدًا؛ بأن الذي تأثر أكثر هو أخوه علي الذي وقف منفعلاً، وقال لرفاقه: إن هذا الكلب ترك مقاومته لنا بعد ما عرفنا بحكم الألفة السابقة، فكيف لا نترك أهله ونعفو ونتسامح عن ابن جارنا مهما كان أبوه مستهترًا بحقنا؟

سبق أن قلت إن الزوجة يقظة لا تنام لها عين منذ أن انقضت المدة، ولذلك أنهى إليّ الراوي بأن المرأة كانت يقظة عندما بدأ الكلب نباحه الأول الشديد ثم سكت بصورة ليست طبيعية، بدليل أنها صرخت بصوت فاجع قائلة: - يا فلان - تقصد زوجها، لقد ألححت عليك بشدة منذ أن أوشكت المدة أن تنتهي

بأن تذهب وتزور مجيرك عليًا أنت ونخبة من أعيان القبيلة. ولكنك لم تعبأ بالأمر ولم تعره كثيرًا من اهتمامك حتى فات الأوان وجعلت للرجال حجة عليك.. وها هم وصلوك، والدليل على ذلك سكوت الكلب من نباحه الشديد الذي كان يبدو منه في أول الأمر، ولئن دل سكوته على شيء فإنما يدل على أنه عرف عليًا وترك سبيله!!

وعندما انتهت المرأة من حديثها هذا، أجابها الزوج قائلاً:

– ألا تعلمين بأنني منذ شهرين وأنا أبذل كل جهدي ساعيًا هنا وهناك من أجل أن أجمع عددًا كثيرًا من أعيان القبيلة لكي نذهب إلى مجيرنا علي.. ونرفع له الراية البيضاء، أولا تعلمين بأن الوعد الذي سوف نسافر فيه إلى مجيرنا لهذا الغرض أقصى حد له بعد الغد؟

كان علي ورفاقه يسمعون الحوار الذي دار بين الزوجين، ولذلك تولى الإجابة علي قائلاً:

• لقد قتل ابنك ابنيَّ واحدًا بعد واحد، وتقبلت ذلك بكل ما يفرضه عليَّ الواجب من مجير إلى مستجيره، وكان عليك أن تقوم أنت بواجبك وأن لا تصبر حتى يمضي شهران على المدة

المحددة، بل كان عليك أن تأتي إليّ حالما وصلت إلى أهلك كدليل منك على رضاك عني وكشاهد أمام الناس، إنك لم ترَ مني ولا من أي واحد من رجال قبيلتنا أدنى إهانة لك، ولكنك لم تفعل واجبك، ومع ذلك فإنني قد تجاوزت عن استهتارك هذا بحقي سواء عن قصد أو عن غير قصد.

بعد هذا خرج المطيري من بيته وراح يقبّل مجيره ولم يتركه يذهب حتى أقام له ضيافة كبيرة دعى جميع أعيان قبيلته على شرف الضيف، كما أنه عندما ذهب علي إلى أهله، قام المطيري بواجبه الشكلي فذهب هو وأعيان قبيلته إلى زيارة مجيره عليًا ورفع له الراية البيضاء، كدليل على اعترافه بجميل مجيره خلال المدة التي قضاها بجواره).

انتهى ما نقلناه من رواية المارك.



٤ - قصة الحازمي الحربي وأولاد السجين



تدل هذه القصة على أن الدنيا لا تزال بخير، والحمد لله، وأن فعل الجميل الذي هو من شيمة العربي المسلم لا يزال متوارثًا في أبناء هذه القبيلة.

لقد نُشِرَت تفاصيل هذه القصة في جريدة الجزيرة، في عددها رقم (٨٣٥٢) الصادر يوم الجمعة ١٥ ربيع الأول سنة ١٤١٦هـ.

لقد قام بطل هذه القصة - رحمه الله - بعمل إنساني واجتماعي رائع، وببطولة تفوق الوصف والخيال، لا يرجو من ذلك إلاّ وجه الله والدار الآخرة إن شاء الله!

وفيما يلي مقتطفات من أقوال شاهد القضية وصاحبها جبران حسن عبده محرزي من منطقة جازان، الذي يقول: (التحقت بسلاح المظلات عام ١٣٧٨هـ، وتنقلت بين تبوك والحدود الشمالية، وبعد انتهاء أزمة العراق والكويت الأولى التي أثارها عبدالكريم قاسم منحتنا قيادتنا العسكرية إجازة لمدة ثلاثة

أيام، فقمت بزيارة أسرتي في جازان لقضاء بعض الوقت معهم بعد غياب طويل... وبعد وصولي بثلاث ساعات والابتسامة تعلو شفاه الأسرة والأطفال أداعبهم ويداعبونني، فجأة ودون مقدمات جاء من يطرق الباب بشدة!! وخرجت لأرى رجال الأمن يسألون عني بالاسم! فقلت لهم: أنا المطلوب!.. فطلبوا مني مرافقتهم للشرطة، وذهبت معهم!.. كانت المفاجأة مدويَّة، هزت كياني وأفقدتني القدرة على التعبير، حيث وجه لي الضابط المناوب تهمة القتل عمدًا!!.. وتوقعت أنها مداعبة هزيلة!!.. لكن الضابط حدثني بصراحة وصدق، وقال: أنت متهم بقتل عائض بن سيف الرشيدي!!

وحاولت إقناع نفسي أن التهمة قد تكون لغيري، أو أن هناك سوء فهم أو أي خطأ!.. لكن المفاجأة زادت اتساعًا ببدء التحقيق معي بشكل جاد!! ودخلت الزنزانة ليلة القبض عليّ، وأنا صابر محتسب، لا أصدق ما يجري لي من مفاجآت!

... تم إحالتي للقضاء.. وهناك كانت المفاجأة الموجعة!! لقد ظهر لي أشخاص لا أعرفهم، وشهدوا أنني أنا القاتل للمدعو

عايض بن سيف الرشيدي!! والمفاجأة الأخرى أنني لا أعرف القتيل!!.. وفي المحكمة ثُبتت القضية كاملة عَليَّ، ولم أجد وسيلة للدفاع!.. وتم إعادتي للسجن بانتظار الحكم!..).

أما أولادي فقد كان: (وضعهم سيئًا للغاية حيث توفيت زوجتي، بعد دخولي السجن بسبعة أشهر، وبقي الأطفال للضياع.. تسعة أطفال، ثمانية أولاد وبنت.. أكبرهم في العاشرة من عمره!).

(... لقد كان أبناء القتيل قصَّرًا، ... ولذلك استمريت في السجن خمسة عشر عامًا، حتى يبلغ أبناء القتيل سن الرشد، وبعدها يطالبون بالقصاص أو الدية أو العفو). (... بعد خمسة عشر عامًا من الهمّ والغم والألم والمعاناة، استيقظت صباح الجمعة... دخل عليَّ عدد من الرجال حوالي الساعة الثامنة صباحًا وطلبوا مني الاستعداد لكتابة الوصية، والحلاقة والتنظيف، وأبلغوني أن هذا آخر يوم في حياتي، وأن حكم القصاص قد صدر، ولقنوني الشهادة، وكتبوا صك الوصية!).

(... بعد ذلك اقتادوني إلى ساحة القصاص، وكانت الجموع

كبيرة، وكان ذكر الله لا ينقطع من لساني! وتم تثبيتي بالعمود، وتربيط عيوني!! وحدد الدكتور الهدف لإطلاق الرصاص، وبدأ المسؤول في تلاوة البيان).

(... ذكرت الله ودعوته وقلت: ربي إنني مظلوم وأنت علاّم الغيوب.. فوضت أمري لك، لا إله إلا أنت لا شريك لك). (... لم أكمل دعائي أثناء تلاوة البيان حتى سمعت أصواتًا عالية وصراخًا مرتفعًا، وسمعت صوت رجل يقول: لا تقتلوه! أنا القاتل!!.. أنا القاتل!!.. وتبعه أصوات كثيرة، وهرج ومرج، ولم أعد أسمع ما حولي.. وتوقف البيان عن التكملة!!).

(... اتضح الحق وزهق الباطل، وأنطق ربي الشهود في آخر لحظة، وثبتت إدانتهم، وجاء الأمر بإيقاف القصاص بي وإعادتي للشرطة!! وتم تصديق أقوال الشهود شرعًا، وتم تنفيذ القصاص بهم... وخرجت للدنيا كالمولود جديد!!).

أما أولادي بعد وفاة والدتهم: (...كان هناك أياد رحيمة من الأهل والأقارب.. لكن الدور الحقيقي كان للمواطن **مصلح بن عوض الحربي**!!.. حيث شمل أولادي بعطفه وكرمه، وعاشوا

معه ومع أولاده، واهتم بهم كأنهم أبناؤه!!.. وربَّاهم أحسن تربية!! ولا يوجد قرابة بيني وبينه سوى أنه فاعل خير!! ووجدت أن هذا دَين عَلَيَّ يجب أن أرده للحربي فاعل الخير!!.. جزاه الله عنا خير الجزاء.... دخلت السجن وهم أطفال، وخرجت وهم في مستوى تعليمي مشرِّف، ورجال أفرح بهم... فأربعة منهم في كلية المعلمين، وثلاثة في المعهد!!.. والبنت قائمة بشئون المنزل...).

أما الموقف مع الجار الوفي: (... من سوء الحظ أن مصلح بن عوض الحربي الذي اهتم بأبنائي ورعاهم ورباهم تربية صالحة، وتعب عليهم كأبنائه اختاره الله، وانتقل لجوار ربه!!.. وجاء الدور عليَّ لأرد له الجميل!!.. لكن ماذا أفعل؟.. لكن سأظل أجاهد على أبنائي وأحاول رد الجميل!!).

انتهى ما اخترناه من كلام شاهدل القصة.

أما صاحب هذا العمل النبيل؛ فهو مصلح بن عمر بن عوض من الجبول من قبيلة الحوازم من بني سالم من حرب!

وقد وُلِد مصلح الحازمي سنة ١٣٤٨هـ في منطقة المدينة

المنورة، ونشأ في ظروف عائلية قاسية، ثم التحق بالخدمة العسكرية كطالب بتاريخ ١/١/١٣٦٨هـ بالمدرسة العسكرية بالطائف، وتخرج منها برتبة ملازم ثاني، وبعد ذلك تدرج في الرتب العسكرية مواصلاً خدمة بلاده، متنقلاً بين مدنها ومناطقها من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق إلى أن وصل إلى رتبة لواء مظلي بتاريخ ١٠/١١/١٣٩٧هـ، ثم أحيل إلى التقاعد سنة ١٤٠٣هـ.

وقد وافاه أجله المحتوم سنة ١٤٠٨هـ[1].

وكان رحمه الله معروفًا بكرمه الزائد، مشهورًا بشهامته وحسن أخلاقه، محبوبًا من زملائه ومعارفه، رحمه الله رحمة واسعة فقد كان من خيرة الرجال.



---

(١) هذه المعلومات عن مصلح الحازمي رواها لي: الأخ اللواء عبدالعزيز بن عبد ربه الجبولي الحازمي.

٥- من أشعار فرج بن خربوش الشمري

في حدود سنة ١٣٦٥هـ حصل بعض المساجلات الشعرية بين الشاعر محمد الحداري السليمي من حرب والشاعر عبدالرحمن بن معيتق العنزي رحمه الله، وكان من عادة الشاعر في السابق إذا أرسل مندوبًا إلى شخص آخر في قصيدته أن يذكر المنازل التي يمر بها مندوبه ويصف كرم أهلها، لكن ابن معيتق الذي وجه قصيدة إلى الحداري لم يذكر بلدة الشاعر فرج بن خربوش الشمري في جبل سَلْمَى، فقال ابن خربوش القصيدة التالية يعاتب ابن معيتق على تجاهله لبلدة سَلْمَى - بلدة ابن خربوش وجماعته من شمر - ويمدح قبيلة حرب، ويعدِّد بعض شيوخها ورجالها المشهورين[1]:

١- يا راكبٍ من فوق زين المشاديد

مِتْحَدّرٍ من روس عالي جباله

---

(١) تُروى بعض أبيات هذه القصيدة بروايات مختلفة، وأعتقد أن هذه الرواية هي أصح الروايات، حيث وجدتها مكتوبة بقلم حسن بن صالح بن ناقي نقلاً عن الشاعر سنة ١٣٧١هـ.

٢- ممشاه من سَلْمى عطاها الرواعيد

الأجنبي[١] وِان جاه يعطى جماله

٣- من جاه في سَلْم العرب بالشرف زِيد

ومن جاه في حربٍ تعزَّز لحاله

٤- من راس ابن خربوش ما هي بتقليد

من دار ذربين اللغّى والجزالة

٥- والنضو رَكّابه على كيف ما اريد

لابن معيتق زاعجين الرسالة

٦- يْهَلّي بُرَاع النضو قبل التناشيد

ريف الركاب اللي توَامَى حباله

٧- ويقلّط العاني بزين المقاعيد

ويسيح عند مْنفدّ البِن باله

٨- وش عِلْم جيشك مَرْ سَلْمَى مسانيد

هَلَ اللحَيْسة مكْرِمة من عَنَى له

٩- ورُكٍ[٢] بوجه الهجن لا جن مصاعيد

قدامهن الوافين في كل حالة[٣]

---

(١) الأجنبي: أي الغريب.

(٢) رُكٌ: اسم موضع مشهور قرب جبال سلمى في منطقة حائل.

(٣) في كل حالة: أصلها: بي كل حالة، وهي لغة شمر.

١٠- الضيف يعطونه على كيف ما يريد

ويقعّدونـه بـي مكـان الـشكالة

١١- على النَّعَيْ مثل المحوص المواريد

يحيُّون باللي فاض مع راس جاله[1]

١٢- حب اللقيمي مِيْرُهم مع نمى الغِيْد

وفنجـال بـن مْوَنِّسه مـع كمالـه

١٣- بَدْوٍ تنفد غالي البن تنفيد

بـدلالْ وارفـافٍ طويـلٍ ظلالـه

١٤- ذولا محـاديرٍ، وذولا مـسانيد

يهلُّـون بـالرجلي وراع الزمالـة

١٥- شرقي جبل سَلْمَى قرايا المساعيد

ملافـظ الـشريَان تـرْهُم شمالـه

١٦- جيشك تعدًّانا وياخذ تصاديد

دليـل جيـشك فوَّتـه مـن هبالـه

١٧- ومثلك يشيّم عن كثير الهرابيد

والاّ نعَـرْف الطيّبـة والفـسالة

---

(١) النَّعَيْ: موضع قرب جبل سلمى في منطقة حائل.

١٨- معزبك المذكور يا عَلْ ما يفيد

يـا حيـف ليتـك بـارزٍ بـه لحالـه

١٩- على خلاَك مسَوّيٍ كيف ما تريد

والاّ سـكت ودامـعٍ لـه خمالـه

٢٠- كل العرب فيها ختوش ملابيد

شخوص العرب ما تندمر من حثاله

٢١- حَربٍ من القبلة إلى ادنى تخاديد

ياما بحـربٍ من رجال الشكالة

٢٢- وياما بحربٍ من كرامٍ صناديد

وياما بهـم مـن مـدركين الجمَالـة

٢٣- وياما بهم من مشبعين المراديد

شـيوخٍ تنفّـد مالهـا دون حالـه

٢٤- معنا صداقتهم سنين سراميد

وْرَاعَ الثنـا مـا ينجـزى بالفسالة

٢٥- ابن نحيت ينفّد الملح تنفيد

من كون بقعا عندنا له جمالة[1]

---

(١) يشير الشاعر هنا إلى اشتراك الشيخ ثواب ابن نحيت شيخ مزينة من حرب مع شمر في وقعة بقعا بين أهل القصيم وأتباعهم وبين عبدالله بن رشيد سنة ١٢٥٧هـ.

٢٦- مع شمرٍ وَرَّد على الموت توريد

أرخى على حوض المنايا حباله

٢٧- ويوم المليدا شدَّد الحرب تشديد

مرقب غضيٍ نشّدِه وش جَرَى له[١]

٢٨- رَبْعه بني سالم مشوا والجمل قِيْد

يوم ابو ضيف الله براىٍ عبا له

٢٩- وضيف الله شوق اللي نهوده مقاعيد

رخيص ما باليد ثقيلٍ بحاله

٣٠- ألْيَن من الماهود ما به عواقيد

حلاّل قالاتٍ تلولس حباله

٣١- واخوان حَسْنا للمجوَّخ صياييد

بالسيف رَدَّوا عند تالي ثقاله[٢]

٣٢- في درب أبو جلاّل تلقى المفاريد

تشْدَى درواىشٍ عن الدرب عاله[٣]

---

(١) يشير الشاعر هنا إلى مشاركة الشيخ حجاب ابن نحيت أيضاً في وقعة المليداء بين محمد بن رشيد وأهل القصيم سنة ١٣٠٨هـ.

(٢) إخوان حسنا: هم الفروم أشهر شيوخ بني علي من حرب.

(٣) أبو جلاّل: الشيخ محسن بن صنيتان الفِرم شيخ بن علي المتوفى سنة ١٣٨٧هـ.

المفاريد: صغار الإبل. عالة: أي عالت، لكن أهل الشمال وخاصة شمر يخففون التاء المفتوحة ويقلبونها هاء، فيقولون: عاله وماله، أي عالت ومالت. وهذا كثير في هذه القصيدة.



٣٣- جَلاَّل شوق اللي طماحه تصاديد

مربوعـة حـشو المـنقَّش جمالـه[1]

٣٤- وَرَّد لْدَام السيف بالراس توريد

بيـوم بـه الخفـرات تـرمي شيالـه

٣٥- بني علي ريعه على كيف ما يريد

ترعى بهم شِقحٍ على الحمض ماله

٣٦- واخوان نورة تكْرِم الضيف وتزيد

تورَّثـوا بـاس المهـادي وبالـه[2]

٣٧- يَرْعَن بهم الزرفات فيضٍ وتسنيد

مع حَجْرفٍ سَيْفٍ وراي بَرَى له[3]

٣٨- وناهس صليب الشور عقّب صناديد

عَقَّب شيوخٍ تِفْرِح اللي عَنَى له[4]

٣٩- وغالب ابن مِقحِم ذرى كل رعديد

زبـن الحصان اللـي توطَّا حثالـه[5]

---

(١) جماله: أي جمالها، ولكن حذفت الألف، وهي لهجة شمر.

(٢) إخوان نورة: يعني بهم هنا الذوبة شيوخ بني عمرو من حرب.

(٣) المقصود حجرف بن عياد الذويبي، المتوفى سنة ١٢٩٠هـ تقريباً.

(٤) المقصود ناهس بن فاجر الذويبي، المتوفى سنة ١٣٣٥هـ تقريباً.

(٥) المقصود غالب بن مقحم الذويبي.

٤٠- إلى تعلّوا طايعات المقاويد

كم من طموحٍ قلّدوها حباله

٤١- اللي قنص بالحر صياد وايفيد

واللي قنص بالتبع عزي لحاله

٤٢- وفيحان[١] يثني دون شقح مواليد

وإن ضيَّعَت عقب الضبابة عياله

٤٣- وكم سنَّدَت خيل المضايين تسنيد

ومن ذل فنجال الشرف ما مشىَ له

٤٤- يا مال طوبَى ماجدٍ عندهن صيد

وجحيش[٢] والعبد المطرَّف بَرَى له

٤٥- كل نخبره بالثنا والتماجيد

ابن صميْعِر فزْحَة اللي عَنَى له[٣]

٤٦- من دون ضيفه وَرَّد النفس توريد

فكّه من الحكّام وارخص حلاله

---

(١) المراد: فيحان ابن مضبْان.

(٢) ماجد وجحيش، من فرسان آل مضيان.

(٣) ابن صميعر: ثلاب بن صميعر من شيوخ حرب المشهورين بالشجاعة والكرم، وهو شيخ الوسدة من بني سالم، من حرب.

٤٧- عقيد عَيْراتٍ تبوج البراريد

دار العدو لازم يدَوِّج بجاله

٤٨- نزه الشوارب عن جميع العواقيد

الله يحل الشايب اللي غدا له

٤٩- وخلف ابن ناحل مضيفه تقل عِيد

اللي عَطَى الزمَّال من حر ماله(١)

٥٠- ونافل ابن غميِّض يشريه ويزيد

راعي الخروف يربِّحه لا عنى له(٢)

٥١- والنعم بالناقي إلى جا جويريد(٣)

تلقَى الشبب بيوتهم والشكالة(٤)

٥٢- نفوسهم للضيف ما به عواقيد

أهل الملَيحا يوم جوُد عقاله

---

(١) خَلَف بن ناحل من شيوخ الأحامدة من حرب، من أكرم أهل زمانه، وهو الذي قال فيه ابن بليهد: (لو لم يكن في حرب إلا خلف بن ناحل لكفاهم بكرمه). وانظر عنه كتاب: "مذكرات تاريخية عن بعض أعلام قبيلة حرب" للمؤلف.

(٢) نافل بن غميِّض الفارس المشهور من شيوخ قبيلة البيضان من بني عمرو.

(٣) جويريد: يقصد فيه سنة المحل والدهر، لأنها تجرد الأرض من العشب وتجرد الناس من الخير.

(٤) يقصد أسرة الشيخ ابن ناقي من شيوخ قبيلة ولد سليم من حرب.

٥٣- وزيدان ابن مطْلَق إلى جن عراجيد

ذيب السمين اللي تعَرَّم حياله[1]

٥٤- هدات حرٍ طالع في جلا الصيد

صيده من الجزلات ما هي هزاله

٥٥- لْيا ما لقى ضانٍ كَرَمْ بالمعاويد

مخيمر ابن مطلق صبي الجزالة

٥٦- راع الكرم والجود بالفعل وايزيد

جعله لجنات النعايم نواله

٥٧- ورباح ومحمد على كيف ما اريد

والمرجلة مَسَّوا مثاني حباله[2]

٥٨- والماكر الطيِّب لْرَبْعه مقاصيد

ومن جت من خوٍ تبَيَّن قباله

٥٩- شيوخ حرب والكرام الصناديد

ذبّيت عنهم يوم صارت شكاله

(١) المطلق من شيوخ قبيلة ولد سليم من حرب.

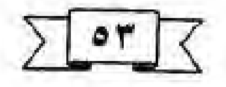
(٢) زيدان بن مطلق ومخيمر بن مطلق ورباح بن رضيمان بن مطلق ومحمد بن زيدان كلهم من مشاهير أسرة ابن مطلق من شيوخ ولد سليم من حرب.

٦٠- الطـيِّب ان جيته يزوِّدك تزويـد
والحَنْظَلِـــي مـــا يقبلونـــه عيالـــه

أمـا قولـه: اللـي عطـى الزمـال ...إلخ، فهـو يـشير إلى قـصة مشهورة يتناقلها الرواة عن الشيخ خلف بن ناحل، وذلك أنه غزا في إحدى المرات لكنه لم يكسب شيئا، وعنـدما انكفـوا مـن الغـزو استقبله بعض القوم يطلبون العطايا من الكسب، فأعطى كـل مـن سأله ناقة ثمينة من إبله الخاصة وذلك مـن فـرط كرمـه، وكـان أول من سأله ذلك الزَّمَّال وهو الشخص الذي يقـوم عـلى رعايـة زمـل الـشيخ أو مركوبتـه وخـدمتها أثنـاء الغـزو. وفي هـذا المعنـى يقـول حمود بن رَشِيْد من أبيات له يثني فيها على كرم ابن ناحل:

يا من خبر يحْذِي وهو ما كسب شيْن
ياكود ابن ناحل بماضـي الزمـاني[1]

(١) يحذي: أي يعطي. شين: أي شيء.



٦- شاعرة من الظفير تمدح رجلاً كريمًا من حرب

فريح بن هملان من الوهوب من قبيلة حرب (١٣١٠-١٣٩٦هـ) من الرجال الذين عاصروا الملك عبدالعزيز، وشارك معه في كثير من معارك التوحيد، وكلف برئاسة بعض المراكز الحدودية الشمالية. وقد عُرف فريح بالكرم والخصال الحميدة وذاع صيته في ذلك، وكانت تلك الصفات مدعاة لإعجاب الفتيات في ذلك الوقت، حيث يعشقن الرجل الكريم والشجاع حتى ولو كان من قبيلة أخرى بمجرد السماع بالثناء عليه على ألسنة الناس. وهذا ما حصل مع الشاعرة المشهورة نورة الحمود الظفيرية التي أثار إعجابها فريح بن هملان الحربي، حيث قالت من قصيدة طويلة:

وَجْدِي على شوفة فرَيْح ابن هَمْلان

وَجْد العَلِيل اللي هَلِهْ ينعشونه

راعي دلالٍ متقنة صنع رَسْلان

وُنِجْرٍ يدقّه للنشاما يجونه

فكّاك رَبْعه يوم روغات الاذهان

يوم أن وِلْد اللاش طارت عيونه

مانيب اعرفه مير اعَدّل بالالحان

سمِعْت رَبْعِه بالثنا يذكرونه[1]

(١) أشار إلى هذه القصيدة أيضا الأستاذ عبدالله بن رداس في كتابه "شاعرات من البادية"، ص١٣٨. كما أكدها لي ابنه سند بن فريح بن هملان

٧- شاعر من مطير يمدح رجلاً من حرب

الأبيات التالية لرجل اسمه مرزوق من الصعران من مطير قالها يمدح هلاَّل بن الخليوي من بني علي من حرب الذي قام بإنقاذه من هلاك محقق. وخلاصة القصة أن ابن الخليوي كان نازلاً في موضع يقال له عِرْق الهامل في نواحي بلدة قبة المشهورة الواقعة شمال شرقي القصيم، وفي يوم من أيام الصيف الحارة وجد صاحب أغنام قد أدركه العطش هو وأغنامه، حيث أنه قد تاه عن موارد المياه، وهام في الصحراء يبحث عن الماء، وقد بدأت بعض الأغنام تموت واحدة بعد الأخرى لشدة ما بلغ بها من العطش، فما كان من هلاَّل إلا أن طمأنه وقال له: "لا تخف وأبشر بالنجاة إن شاء الله أنت وما بقي من أغنامك"، ثم استاق القطيع إلى بيته وأدخل الأغنام عن حرارة الشمس، ثم قدم لها ما عنده من الماء القريب، ولم يكتف بذلك بل أرسل معه بعض الإبل المحملة بالماء ليطمئن على وصوله إلى الموارد. وهكذا وصل الرجل إلى مأمنه سالما بعد أن أشرف على الهلاك.

وعندما وصل المطيري إلى أهله قال الأبيات التالية يمدح

ابن الخليوي الحربي ويشيد بجميله، وهذا من شهامة هذا المطيري وعدم إنكاره للجميل[1]:

يا أهل الركاب إلى مشيتوا على خير
جِتُّوا عليهن بَيْن شلَّة وزرفال[2]

الله يسَمِّح دَرْبكم يا مسافير
عسى ملافيكم على طَيِّب الفال

والْيا لفيتوا دار رِيْف الخطاطير
رِيف القطين اللي حَدَاه اشهب اللاَّل[3]

تنشر له البَيْضا من الشام للنير
حيث انها عند ابيض الوجه هَلاَّل

بروس المظامي جاب لي جَمَّة البير
واسقى شياهي عند يَبْسَات الابلال[4]

---

(١) أذيعت هذه القصة في برنامج قصة وأبيات من إذاعة الرياض يوم الخميس ١٤٠٩/٣/١٧هـ، كما أنها مشهورة لدى رواة بني علي من حرب.

(٢) شلّة وزرفال: نوعان من أنواع مشي الإبل، ومعناهما: المشي السريع للهجن.

(٣) أشهب اللال: يقصد به الحر الشديد.

(٤) يبسات الابلال: المقصود أقصى حالات العطش وانعدام الماء.

جابَن من الهامل بهاك الدعاثير

الزول عندي صايرٍ عشرة ازوال[1]

شُومِن لمثله يا البِنِي الغنادير

ابن الخَلَيْوِي طَيِّب الجد والخال

(١) جابن: أي جاء بي. الهامل: اسم أحد عروق النفود المعروفة شمالي منطقة قبة. الدعاثير: العروق الرملية أو الأرض الوعرة. الزول: أي الصورة وخاصة الإنسان، وهي لفظة فصيحة واستخدم هذا التعبير كناية عن شدة العطش والتعب.

٨- جهز بن شرار يمدح بعض فرسان حرب

هذه قصة للشاعر والفارس جهز بن فازع بن شرار شيخ ميمون من قبيلة مطير. وذلك أنه في إحدى المرات عندما تجهز والده فازع بن شرار لغزو قبيلة حرب، أراد جهز أن يرافق الغزو، لكن والده منعه لصغر سنه، وأعطى فرسه لفارس من قومه يدعى كديميس، فتأثر جهز لهذا التصرف من والده، فقال القصيدة التالية يصور حاله عندما غادر الفرسان وتركوه مع النساء والأطفال، وقد ضمَّنها تمنيه بأن يقع كديميس في أيدي فرسان حرب، وسمى بعض الفرسان المشهورين منهم وحثهم على قتله، حيث يقول:

يوم اسْهَجَنيٍّ نابيات النسانيس
الموت عندي والحياة امتساوي

وَاطَيْ قلبي طَيْ بيض القراطيس
واونتي ما هِي بْوَنَّة هَوَاوي

الله على اللي مثل خطو القرانيس
يجي بها قوَّاد حَبْل الرجاوي

عسى فقيدة قوم فازع كديميس

يضرب برمحٍ بين الاضلاع هاوي

تكفون يا البيضان والاّ الدهاليس

حيث انكم قدامهم بالحراوي

اما انت يا مَثَّال والا انت يا نْعَيْس

الله يحطه بينكم بالمحاوي

حيث انكم فَرَّيْس واعيال فَرَّيْس

اهل امهار الخيل ما انتم شواوي

يشير في البيت الثالث إلى البيضان البطن المعروف من بني عمرو من قبيلة حرب، والدهاليس من الفردة من مسروح من حرب أيضًا. أما مثال فهو الشيخ مثال بن عبيد ابن غِمِّيض من مشاهير البيضان ومن أشهر الفرسان في زمانه، عاصر الأمير محمد بن رشيد وتوفي في حدود سنة ١٣٣٠هـ، كما ذكر لي حفيده الشيخ مَدْوَخ بن غِمِّيض. أما نعَيْس فهو الفارس الذائع الصيت نعَيْس بن دهيليس من الفردة، وهو الذي تقول فيه الشاعرة العتيبية من قصيدة طويلة:

إلى عمست الاشوار عليك بنعيس

امْورَّد الهيَّاب حوض المنايا

ويقول الرواة أيضًا إن فرسان حرب لم يخيبوا ظن جهز ابن شرار، وذلك أنهم تمكنوا من أسر الفارس كديميس وأخذوا جواده، ولما وصلهم خبر القصيدة أرسلوا الجواد هدية إلى جهز مكافأة له على مدحه لهم(١).



(١) رواية: مَدْوخ بن مطلق بن غِمِّيض، وهي قصة مشهورة في كتب الأدب الشعبي.

٩- جهز ابن شرَار يمدح أهل العَوَالي من حرب

مما قال جهز ابن شرَار شيخ ميمون من مطير عندما مر في إحدى القرى النجدية لشراء القهوة، وكانت القهوة من ضروريات البدوي في الزمن السابق، كما كانت مظهرًا من مظاهر الكرم والرجولة، والمهم أن ابن شرار دخل السوق متأخرًا قبيل صلاة الظهر، فأغلقت أكثر الحوانيت قبل أن يشتري حاجته من القهوة، فصار يتردد بين البيوت والسوق لعل أحدًا يدعوه للقهوة ويرتاح عنده إلى بعد صلاة العصر، في وقت لم تكن الفنادق والمطاعم معروفة عند أهل نجد، لكن الأبواب ظَلَّت مغلقة، فاضطر إلى البقاء في السوق إلى أن فتحت الدكاكين أبوابها بعد صلاة العصر، ثم أخذ حاجته ولحق بأهله. وقد ذكَّره هذا الموقف بحاله عندما يذهب للمدينة المنورة وخاصة حي العَوَالي الشهير الذي يسكنه بعض قبائل حرب وهم بنو علي، الذين كان من عادتهم ترك أبواب مجالس الرجال مفتوحة للأضياف حتى لا يحتاج الضيف فيها إلى طرق الأبواب، وقال بهذه المناسبة قصيدة طويلة منها:

يـا راكـب اللــي كِـرَّبَت بالحبــالي

من ساس جيش هتيم يمْهَـر جملْهـا

ليا شافت السابر من الرجم مـالي

كـن الخلاَصــة عينــها مــن زعَلْــها

تـسْرَح مـن الحَوطـة مـلافي الجمَـالي

ثـم عَقبَـت بلعــوم والـضلع عنهـا

دارٍ بهـــا مُــرٍّ الفناجيـــل غـــالي

مـــالي شـبوحٍ يــوم انــا في وطنهـــا

يـا ليتني سَيَّرْت صـوب العـوالي

اللـــي ترحُــب بالمـسايير اهَلْهـــا

شرَّايــةٍ للكيــف لــو كــان غــالي

ولا صَكّــوا البيــبان عَمَّــن دَهَلْهـــا

والقصيدة أطول من ذلك[1].

---

(١) شعراء من البادية، ابن رداس، ص٧.

١٠ - شاعرة من مطير تمدح الشيخ الذويبي

هذه القصيدة للشاعرة المشهورة وضحا الجدعية من قبيلة مطير، قالتها تمدح الفارس الشيخ محمد عقاب الذويبي من شيوخ بني عمرو من حرب، وذلك أن قبيلة الشاعرة غزوا على جماعة الذويبي، وكان بين الفريقين عُمْلة - أي هدنة - لكنهم أرادوا مفاجأة الذويبي على حين غرة، فهاجموا بني عمرو، إلاّ أن الوقعة انتهت بانتصار الذويبي وجماعته، فقالت القصيدة التالية لإعجابها بشجاعة الذويبي رغم أنه كان يقاتل قبيلتها، وهذا من صدق أبناء وبنات البادية وإشادتهم بمن يستحق الإشادة حتى ولو كان من خصومهم، حيث تقول:

أبـدَيْت يـا عَـوَّاد مـا في فـوادي

مـن كنَّةٍ بالـصدر لـو عنـه تـدْرون[١]

ما اهْبَلْك يـا اللـي للـذويبي تعـادي

شـيخٍ لـه الحضران والبـدو يعنُّون[٢]

---

(١) وفي رواية أخرى: أقولها حتى القبائل يعذرون.

(٢) يعنُّون: أي يدفعون العاني، وهو ما يؤخذ مقابل الحماية.

إخـوان نـورة عَجَّلـوا بالـسَّدَادي

زادوا علـيهم.. بَيَّحَـوا كـل مكنـون

ذيــب القبــالي للذيابــة ينــادي

مــشرَّعات في جرايــر ذوي عَــوْن

عَيَّنْـت ابـن جَمْـلا وُرَبْـعٍ نـوادي

يـا عَنْـك مـا قِبِّل ولا هـو بـمدفون

سُـوَاة من ياخـذ عـمِيلـه عْمَـادِ

الله عليـم وناقـضٍ مـا يَعَمْلـون

لَكَّن جَدْع الروس حذف الهَوَادي

يا عَنْك ما جت كسْرَة السيف بالهون

مـن دون شِـقْحٍ يـرتعنَّ الحَمَـادي

محمد لهـم درعٍ علـى الخيـل مضمون

يرمي العشا للذيب هو والحنادي

خـلاً سْبَاع الحِمْـر فـيهم يفلُّـون[1]

.... إلخ. وهي أطول من ذلك[2].

---

(١) الحمر: جمع حمراء، اسم هضاب في تلك المنطقة.

(٢) أورد هذه القصيدة عبدالله بن رداس في (شاعرات من البادية ١/٧٨١)، والزيادة من الرواية للشيخ محمد بن غازي بن كلاَّب رئيس مركز البصيري، وشيخ الحوامضة من بني عمرو.

١١ - وقصيدة أخرى للجدعية تمدح الذويبي

وهذه قصيدة أخرى قالتها الشاعرة وضحا الجدعية من قبيلة مطير في مدح الشيخ الذويبي ، وذلك أنه في إحدى السنوات في الربع الأول من القرن الثالث عشر ارتحل بنو عمرو برئاسة شيخهم ضيف الله الذويبي من عالية نجد إلى الشمال تبعا لنزول المطر ، ونزلت بعض قبائل مطير في ديار بني عمرو في موضع يسمى أبو مغير، وبينما كانت الشاعرة تتجول في المكان عرفت أنه منزل الشيخ الذويبي ، ولاحظت كثرة بقايا القهوة مما يدل على كرم صاحب المكان ، فقالت القصيدة التالية تمدح الشيخ الذويبي وتحذر قومها من عودة هذا الأسد إلى عرينه :

سلام يا دارٍ بها الحِبْر منثور

يا دار من طِرْيا المعازي هَبَابه

أبو مْغَيْر اللي من الوَسْم ممطور

عِشْبه زمَا.. يا طول عالي رقابه

مَيْر اقهروا عنه المظاهير والخور

عِدٌ لاخو نورة وكلٍ يهابه

يا سرع ما ياتي على شقة النور

الزمل يحْدَى والعَصَا في حقابه

والى ركب صفرا تحيزم بشعرور

والى نوى ذود المعادي غدا به[1]



---

(١) أورد عبدالله بن رداس من هذه القصية ثلاثة أبيات، والإضافة من رواية الشيخ بجاد بن مقبل الذويبي، وطلال بن يوسف الذويبي.

١٢ - حنيف بن سعيدان يمدح الفِرْم

اشتهر الشيخ محسن بن صنيتان الفِرم شيخ بني علي من قبيلة حرب بالكرم الزائد والعطاء السخي بالإضافة إلى شهرته بالشجاعة والفروسية حتى ذاع صيته ليس بين أفراد قبيلته فحسب بل عند أبناء القبائل الأخرى في الجزيرة العربية، فكان مقصدًا للعطاء والنوال، ونظموا فيه أشعار المدح والثناء، ومن ذلك القصيدة التالية التي قالها الشاعر حنيف بن سعيدان من مشاهير قبيلة مطير، وهو من ذوي سعدون جماعة الشيخ ابن بصيِّص، وذلك أن الشاعر ماتت ذلوله في إحدى السنوات. وكانت ذلولاً أصيلة، فاحتار لا يدري إلى أي أمراء القبائل يذهب ليعوضه عنها، لكنه أخيرًا قرر أن يتجه للشيخ الفرم، وفي ذلك يقول:

عَدَّيت بالمرقاب من ضِيْق جَوْلي
وهَيَّضت بالمرقاب.. ممّا جَرَى لي

في مَرْقبٍ ما فيه زولٍ يزولي
ما حوله الاّ نايفات الجبالي

حَوَّلت ما ادري وَيْن تنصَى ذلولي

قمت اتذكر وَيْن تِعْزَى الرجَالي

يا اهل الركايب ريِّضوا، واقهروا لي

يا هَيْه يا هَلْ سايجات الحبالي

خوذوا جوابي وافهموا كل قولي

خوذوا جوابي من ضميرٍ زلالي

ان كان ابو جَلاَّل ما هو بحَوْلي

من دونه الجازي تربّي الغزالي

أبا استعينه يوم ماتت ذلولي

حمرا تورَّد يوم طال المحالي

إلى جن مع دَوٍّ سرابه يهولي

مثل النعام إلى حَدَاه الجفالي

نِعمٍ بقول الناس ما هو بقولي

تمدح جنوب.. ويمدحونك شمالي

لك منزلٍ ما يختفي بالفعالي

يعدّه الأول لعقب التوالي

وان جا نهار الضيق لك به فعولي

لا جــن مثـل مخزمــات الجمــالي

تضرب بحد السيف ضربٍ يهولي

ولك عزوةٍ ترهب خلاف التوالي[1]

يقصد في البيت الأخير عزوة الشيخ محسن الفرم المشهورة وهي: "شريدة الفرسان أخو حسناء".



(١) أورد هذه القصيدة الشيخ منديل الفهيد في كتابه: من آدابنا الشعبية ١/١٢٢.

١٣- قصيدة العنزي في حرب

القصيدة التالية لرجل من قبيلة عنزة يقال إنه حصبان بن فهيد الصقري، كان جارًا لبني علي من حرب، ويروى أن جيرانه هم خالد بن مظهور القرن، ونفاع بن عونان، وذويبان الخيوطي وجماعتهم الكتمة، من بني علي. أمضى معهم مدة طويلة وكأنه واحد منهم، بل إنه وجد عندهم من حسن الجوار وطيب المعشر ما لم يجده عند قومه، فقد كان له إبل مصابة بالجرَب، والمعروف أن الإبل المصابة بمثل هذا المرض تعزل عن الإبل السليمة وتبعد عن بقية إبل الحي عادة، لكن جيرانه من بني علي ومنهم خالد القرن وجماعته أبوا إلا أن تبقى إبله مع إبلهم زيادة في التقدير لهذا الجار الأجنبي.

وبعد مدة من مجاورته لهم جاءه بعض أقاربه وأصرّوا عليه بالعودة معهم إلى مضارب قبيلته، فوافق أن يعود، لكنه لم يستطع إخفاء دموعه حنوًا على فراق جيرانه من بني علي، فلما لاموه على بكائه على حرب وهم أعداء لقبيلته قبل توحيد القبائل في الجزيرة تحت الحكم السعودي، قال:

قالوا علامك يوم تبكي على حَرْب

وهـم لنـا عـدوان مـا ينبكـوني[1]

قلت: البكا ما هوب للبعد والقرب

أبكـي علـيهم عقـب مـا جـاوروني

أربـع سـنين وزملنـا عنـدهم جُرْب

مـا اومـوا علـيهن بالعـصا يـضربوني

عن ذودهم ذودي يقدّم على الشرب

مَرحولنـا يـشرب وهـم يقهرونـي[2]

يا عنك ما هم من هَلَ الهزب والزرب

ولا هـم بغِـرّة جـارهم ينظرونـي[3]

رَبْعٍ على الشدّات والهون والكرب

مـا اذمهـم، بافعـالهم يـمدحـوني

---

(١) ليس المقصود بالعداوة معناها الحقيقي وإنما المراد ما كان بين القبائل من التنافس الذي كان سائداً في السابق، أما الآن فالجميع إخوان بفضل الله ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

(٢) المرحول: الإبل، يقهرون: أي يتأخرون، والمراد: أنهم يؤخرون أذوادهم إلى أن تشرب إبل جارهم.

(٣) يا عنك: صيغة توكيد: أي اعلم أنهم ليسوا كذلك. الهزب والزَّرْب المراد السب والقدح.

وإن حل عند اقطِيهن بالقنا ضرب

يتلون ابو جَلاَّل حامي الـضعوني (١)

تلقى دما الفرسان منهم لـهـا سَرْب

هـــذا طــريح.. وذا عميــق الطعــوني

أنشر لهم بيضا مـن الـشرق للغـرب

والله مـــا انــــسى لابـــةٍ قـــدّروني (٢)

.... إلخ. (٣)



---

(١) أبو جلال: الشيخ محسن الفرْم.

(٢) لابة: أي قوم أو جماعة.

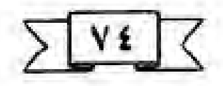
(٣) رواية: الشيخ ندا البحيثي الفريدي وغيره، كما أنها قد أذيعت من إذاعة الرياض عبر برنامج قصة وأبيات الذي يعده الأستاذ إبراهيم اليوسف. كما أوردها عبدالله بـــن خميس في كتابه: من أحاديث السمر ج١، ص٢٣٤، ط٣، ١٤٠٩هـــ.

١٤- قصة نهار الأحمدي في حماية الوجه[1]

هـذه القـصة أوردهـا فهـد المـارك في شـيم العـرب، وكـان مما قال:

"قبل أن يوحد الجزيرة العربية المغفور لـه البطـل عبدالعزيز آل سعـود، كـان لا يـستطيع أن يمـشي بالـصحراء إلا القـوم الكثيرون الأقويـاء بعـدتهم الحربيـة، وإلاّ فيكـون الماشـي بهـا لقمـة سـائغة لعرب البادية، والذي يُهَوّن الأمر نسبيًا هو أن لهـم تقاليـد عرفيـة كان فيها من المناعة ما يتقي بهـا عـابر السبيل شر بعـضهم ببعض. مثال ذلك أن المسافر إذا شاء أن يذهب إلى جهة ما يتحتم عليه أن يأخذ شخصًا من هؤلاء العرب الذين يمر على أرضـهم، ويـسمى هذا الشخص (رفيق)، فهم يعطونه من المال مـا جـرت العـادة بـه. وهـذا (الرفيـق) يتحـتم عليـه أن يحمـي دمـاءهم وأمـوالهم ولا يستطيع أحـد أن يمـسهم بـسوء، لا سيما إذا كـان رفـيقهم شـجاعًا قوي الشخصية، أو عميد أسرة، أو له إخوان وأبناء عـم شـجعان منيعو الجانب.

(١) نقلاً عن كتاب: من شيم العرب، لفهد المارك، ط٣، ج١، ص٩٢ ومـا بعـدها، ويذكر أنها وقعت سنة ١٣٣٠هـ تقريبًا.



هذا؛ وقد كان فريق من أهل نجد وهم من بلدة حائل أدّوا فريضة الحج وزاروا المسجد النبوي – على ساكنه أفضل الصلاة والسلام – واستعدوا للعودة إلى أوطانهم، فاضطروا إلى أن يأخذوا معهم "رفيقاً" من بادية المدينة الذي هم قبيلة حرب. فساقهم القدر إلى شخص يسمى "نهار الأحمدي". فتم الأمر بينهم وبينه حسب التقاليد المرعية، وخرج القوم ورفيقهم من المدينة قاصدين أهلهم، وقبل أن تتوارى عن أعينهم جدران المدينة، هناك اصطدم القوم بـ "صالح الأحمدي"[1] شقيق رفيقهم "نهار". فطلب صالح هذا من القوم أن يعطوه "حقته"، ومعنى ذلك أن له حقًا واجبًا على المسافر الذي يعبر هذه الأرض التي يقطنها. وهذا المبلغ حسب الاصطلاحات الجارية فيما بينهم أنه "حق" له، يأخذه منهم جبرًا. ولكن على شرط ألا يكون معهم رفيق من قبيلة صالح هذا أو من عشيرته، أما إذا كان أحد من أولئك فلا يكون له حق، لوجود الرفيق الذي قد تعهد حمايتهم. أما وقد كان رفيق القوم نهارًا أخا صالح الشقيق فأصبح ليس من واجبهم أن يدفعوا شيئًا كما أنه ليس من حقه أن يطالبهم بشيء.

(١) أفادني الشاعر غريب بن فهيد بن ناحل الأحمدي، أن صالح ونهار من أبناء نهار الأحمدي، من ذرية مفضي بن ولمان الأحمدي.

ولكن يظهر أنه شاء أن يتمرد على القوانين ويأخذ "حقته" كما يدعي من هؤلاء القوم سواء رضي أخوه أو لم يرض.

حاول نهار أن يقنع أخاه بالتي هي أحسن، مؤكدًا له بأن هؤلاء القوم أصبحوا في جواره وبعهدته وضمانته، وأنهم لم يخرجوا من المدينة إلا بعد أن أعطاهم عهدًا وثيقًا، فعلى هذا الأساس لا يمكنه إلاّ أن يفي بعهده ويحمي جواره مهما كلفه الأمر. بهذه العبارات الرقيقة كان رفيق القوم يلتمس رضى أخيه، ويحاول إقناعه. ولكن أخاه صالحًا لم يقنع.

هبَّ نهار مرة أخرى يلتمس رضى أخيه قاصدًا إغراءه بالمال، فقال له: «يا أخي إن كان يرضيك أن أعطيك كل ما أملك من المال وأهبه لك بما فيه هذا المبلغ الذي أخذته من القوم مقابل حفظي وحراستي لدمائهم وأموالهم، إن كان يرضيك ذلك فقد وهبتك إياه رغبة لا رهبة، وذلك حرصًا على ألا تسيء إلى رفاقي بالشيء الذي من شأنه أن يمس كرامتي ويخفر ذمتي».

فأجاب الباغي بعنف وسخرية قائلاً: «أنا لست بحاجة إلى أن تحسن إلي من مالك، أنا أغنى منك مالاً ونفسًا، وأنا إن طالبت بشيء فلا أطالب إلاّ بحقي الذي سآخذه رغم أنفك وأنف رفقائك!».

طفق نهار آخر الأمر يناشد أخاه بالله والرحم، فقال: «ناشدتك الله والرحم على أن تخلّي سبيل رفاقي ولا تخزني بين قومي بنقضك عهدي، وهتكك لحرمة جواري».

فلم تزد مناشدته هذه أخاه إلا تمردًا وطغيانًا. فابتلي نهار، وامتحن بمخاطبة هذا الشقي الذي عبر عن أمثاله المتنبي:

ومن البليةِ عذلُ من لا يرعوي عن غيّه، وخطابُ من لا يفهم

لقد رأى نهار أنه بذل شتى الوسائل وأنجع الأسباب المجدية التي تجعل أخاه يترك سبيل قومه، محاولاً بذلك استثارة عاطفته واستفزاز شعوره، ولكنه لم يلن له قلب. إذن فستضطره حماقة أخيه أن يقبل نصيحة الشاعر القائل:

إذا كنت بين الحلمِ والجهلِ ناشئًا وخيّرت أنى شئت فالحلم أفضلُ
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفًا ولم يرضَ منك الحِلْمَ فالجهلُ أمثلُ

عند ذلك حذر نهار أخاه سوء عاقبة تمرده هذا بطريقة التلميح والإشارة. ولكن الباغي لم يردعه التحذير ولم يأبه له، لقد فرغ الآن صبر نهار وعمد إلى تنفيذ أمر كان يضمره في نفسه لحلّ المشكلة، ولكنه أمر ليس اليسير عليه تنفيذه وإنما الذي أرغمه على الإقدام عليه هو أخوه الطائش!

الآن خاطب نهار أخاه صالحًا بالصراحة الجلية، فقال: «يا ابن أبي وأمي، إنه قد فرغ صبري وأنا أرجوك، ولا شك أنك ستجبرني على ارتكاب أحد أمرين: إما أن أتركك وشأنك لتنقض عهدي وتهتك حرمة جواري، وهذا شيء مستحيل عليك ما دمتُ حيًا سليمًا، الشيء الثاني أنك ستضطرني إلى قطع رحمي وبتر ساعدي الأيمن وتيتيم أبناء أخي، وهذا ليس من شيمتي احتماله ولكنه أهون الشرين عندي!».

كان نهار يخاطب أخاه وهو -في تلك اللحظة- شاهر السلاح بوجه أخيه، وقد كانت رصاصة البندقية في بيت النار ولم يبق سوى التنفيذ. ومع هذا كله لم يرتدع أخوه بل هجم على القوم ليسلب منهم مالهم بالقوة، فلم يسع نهار إلا إطلاق الرصاصة التي خرقت رأس أخيه فخر ميتًا. أما نهار فهب يواري جثمانه فورًا، ثم واصل سيره مع رفاقه حاميًا لجواره وفيًا بعهده، حتى أوصلهم الجهة التي تم الاتفاق بينه وبين القوم أن يوصلهم إياها.

ثم عاد إلى أهله لم يُنكث له عهدًا ولم تخفر له ذمة[1].

---

(١) القصة مشهورة (تعليق المارك).

١٥ – قصيدة الغيثي الشمري في حرب

في إحدى السنوات حصل خلاف بين الشاعر شبلي الشلاقي من قبيلة شمر وشاعر آخر من شمر، فقال الشلاقي قصيدة موجهة للغيثي يتهمه فيها بأنه ليس من شمر، وإنما هو من قبيلة حرب، فرد عليه الغيثي بقصيدة طويلة منها:

تردَّنـا لِـسَرَيْبَةٍ هـاك عَنـَّا

حَرْبٍ طَيَاح ذوَيْدهم ما تدانيه

يا ليتنا منهم والاجـواد مِنـَّا

هَنِـي مَن هـم باللقا مـن دناويـه

انجـورهم بالليـل مـا يمرجِنـَّا

ونيرانهـم تَشْدَى البُرُوق اللهاليـه

.... إلخ[١].

رحم الله الغيثي الشمري، فقد رد على خصمه مفتخراً بقبيلته، دون هضم حق القبيلة الأخرى، وهي حرب، وهكذا يكون الإنصاف والثقة بالنفس عند الرجال الكرماء.

---

(١) من آدابنا الشعبية، منديل الفهيد، ج٧.



١٦- فارس من عتيبة يمدح الذويبي(١)

وهذه القصة مثال آخر على نقاء سريرة أبناء البادية وتسامحهم، كما أنها تدل على مدى تأثير الشعر فيهم، وذلك أنه في إحد الوقائع القديمة تمكن الشيخ ناهس بن فاجر الذويبي من الاستيلاء على بندقية فارس آخر، ويقال إنه من قبيلة عتيبة، وذلك عن طريق المنع، وهو استسلام الخصم على أخذ ما معه وضمان سلامة رقبته.

وكانت البندقية ثمينة ولها عند صاحبها مكانة خاصة، وهذا ما جعله يفكر في طريقة لاستعادتها بعد انجلاء الوقعة، فما كان منه إلا أن نظم الأبيات التالية وقام بإرسالها إلى الشيخ ناهس الذويبي.. وللأسف فلم نجد منها إلا الأبيات القليلة التالية:

يا العَيْن هِيْدي لا يجيك الهبالي

ترى النقا عند الأجاويد ما راح(٢)

---

(١) نُشرت هذه القصيدة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص٤٧.

(٢) هيدي: أي اهدئي. النقا: أي المعروف وفعل الجميل.

وا بنــدقي وان شَلْهَبــَن الليــالي

وابطا المدِيد وبارق الوَسْم ما لاح[1]

يفـرح بهـا القنَّـاص في كـل حـالي

بـالقوم والا في كبيـرات الافطـاح

رَدّيتهـا في وجـه حـامي التـوالي

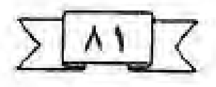
يوم اختلط سوق الخساير والأرباح

ولما وصلت الأبيات للشيخ الذويبي لم يتردد في إعادة البندقية، ويروى أنه قال لجلسائه: والله لو لم يرسل إلا البيت الأول لأعطيتها إياه دون تأخير!

ومن الجدير بالذكر أن المقصود هنا هو الشيخ ناهس بن فاجر بن عقاب الذويبي، من أشهر شيوخ بني عمرو المتأخرين توفي في حدود سنة ١٣٣٥هـ.

---

(١) شلهبن الليالي: كناية عن أيام الجدب والشدة. أبطا: أي تأخر. المديد: المقصود قوافل الإمداد.



١٧- قصة البدري مع الشيخ نقا الشطير

أورد الشيخ منديل الفهيد أربعة أبيات فقط من قصيدة البدري التي نحن بصددها، ولم يذكر شيئًا عن مناسبتها أو تاريخها أو أشخاصها[1].

أما الشاعر مبارك البدري فإنه من سكان ضواحي مدينة الرس وهو من أهل القرن الثالث عشر، وكان فلاحًا في قرية ابن سعيد في ضواحي قصر ابن عقيّل في منطقة القصيم. وفي إحدى السنوات هزلت معاويده وهي الدواب التي يسني عليها ويسقي بها زرعه وبستانه وأوشك زرعه أن يموت، فقصد الشيخ نقا بن سعد الشطير شيخ الشعب من بني عمرو من حرب، يريد أن يستنجد به ويطلب منه العون لإنقاذ مزرعته.

وكان الأمير في ذلك الوقت سعد الشطير وهو شيخ وهو شيخ كبير السن، أما ابنه نقا فقد كان شابا في مقتبل عمره. ولما جاء البدري إلى الشيخ سعد الشطير أخبره بأحواله وبما حل بفلاحته واستأذنه في إلقاء قصيدة، فقال: "اجعلها في مدح ابني نقا وليست في مدحي فأنا شيخ كبير والإمارة مدبرة عني مقبلة عليه!".

---

(١) نشرت هذه القصيدة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص٨٩، ومن آدابنا الشعبية، تأليف منديل الفهيد ج٤، ص٢٢٥.

وكان قصد الشيخ أن يمتحن تصرف ابنه ويعوّده على الكرم ونجدة ذوي الحاجات، وهذه خصال تتطلبها مشيخة القبيلة.

وهنا اضطر الشاعر البدري تحريف القصيدة وتوجيهها إلى الابن بدل الأب، فقال قصيدة منها:

نقا الشطير مْعَوَّدٍ هبّة الريح
ليا وَخّر الفلاّح عَيْشه ولا باع[1]
خيّال وضحٍ مبعدات المساريح
وان ثوّرن صم الرّمَك قاسي القاع
لا صاح صيّاح الضحى والدبش زِيْح
وتناولوا في روسهن كل مطواع
ركّاز مِهْتَش الغَلَب بالنحانيح
لاجن جرْد ارقابهن مثل الانباع
خلاّه هرّاب والاخرى مدابيح
والعِلْط بارقاب المعادين شرّاع[2]
ضيّق عليهم بالسهَال الصحاصيح
كِنّه يصاغيهم على بعض الارياع

.... إلخ.

---

(١) وخّر: أي أخر.

(٢) خلاه: أي خلاها، والمعنى تركها. هرّاب: أي هاربة. شرّاع: أي مشرعة.

١٨ – من قصص حماية الجار[1]

هذه القصة أوردها المارك في كتابه فقال: (هذه الأنظمة التي أمست قواعد اجتماعية يسيرون بهديها، ويتخذونها [دستورًا] عادلاً يحمي ضعيفهم من سطوة قويهم، وينصف مظلومهم من ظالمه، هي التي كانت خير حَكَم عادل يرجعون إليه في جميع تصرفاتهم، وخير رادع لقويهم عن افتراس ضعيفهم.. وقد يبلغ الأمر في تطبيق عاداتهم هذه شيئًا من الإسراف الذي يتجاوز الحد.. ولكن هذا الإسراف على ما فيه من الشطط يرون أن القيام به ضرورة حتمية لا مفر من القيام بتطبيقها.

فخذ مثلاً حادثة جرت عند قبيلة حرب بطلها شخصان أحدهما يدعى مناور القَرَد بفتح القاف، والثاني محمد بن طرَيِّف وكلاهما من بني علي، والحادثة وقعت حوالي عام ١٣١٣هـ.

كان لمناور القرَد جار من قبيلة مطير من فخذ الصعران.. وكان هذا الجار قادمًا بما جاء به من الماء لأهله من قليب بعيد عن منازل الحي.. فالتقى بمحمد بن طرَيِّف، فاشتد بين الجار وابن طرَيِّف الشقاق إلى أن اعتدى الأخير على الجار وطعن قربته بخنجره.

وكانت التقاليد تقضي بحالة كهذه أن يذهب المعتدي على الجار

---

(١) نقلاً عن كتاب: من شيم العرب، للمارك، ط٣، ج٢، ص١٥٨.

ويستجير في حمى إحدى الشخصيات من رجال العرب سواء من قبيلته أو من قبيلة ثانية.. ولكن المعتدى لم يفعل أو أن المجير لم يَدَعْ له فرصة. وأعتقدُ أن الأولى هي الأرجح، إذ أنه لو أراد ابن طرَيِّف أن يستجير بإحدى شخصيات قبيلته لأمكنه ذلك، ولكنه لم يحاول شيئًا من ذلك فيما يبدو من سياق القصة، الأمر الذي جعل مناور القرَد ينتقم منه بسبب إهانته لجاره، انتقامًا أودى بحياته..

وهكذا يبلغ عقاب المستجير بمن يعتدي على مجيره درجة من الإسراف؛ لأننا إذا قسنا ما فعله ابن طرَيِّف مع جار مناور نجد أن القضية لا تستحق قتل النفس، بل من الجريمة أن تُزهَق نفسٌ بريئة بسبب عمل كهذا العمل البسيط[1]، ولكنها التقاليد والعادات التي أصبحت قوانين لا تتسامح ولا ترحم، تلك القوانين التي يعتقد المؤمنون بها أن تقاعس مناور القرَد عن عقابه لابن طرَيِّف جريمة يعيبه بها مجتمعه ويمقته بل يحتقره.

المقصود هو أن حرمة الجار عند العرب مبدأ لا يتجزأ.. فالإساءة إليه سواء كانت كبيرة أو صغيرة، عقوبتها واحدة)[2].

---

(١) هكذا في الأصل، والصواب: أن يقول: كهذا العمل اليسير، لأن البسيط، من الانبساط، وهو التمدد والتسطح، كأن تقول: سَهْلٌ بسيط، وأرض بسيطة، أي منبسطة.

(٢) يقول المارك: رويت هذه القصة عن المرحوم الشيخ نافع بن فضليَّة، وذلك في عام ١٣٧٣هـ، الموافق ١٩٥٣م، في مدينة الطائف، ويذكر أنها وقعت سنة ١٣١٣هـ.

١٩ - قصيدة على لسان تركي بن حميد[١]

يتناقل الرواة الأبيات التالية على أنها للشيخ تركي بن حمَيْد المتوفى سنة ١٢٨٠هـ، حيث أوردها منديل الفهيد في كتابه، وهي :

يا راكب اللي ما يداني الصَّفيري
هَمَيْلعٍ من نقوة الهجن سرساح

أمَّه نعامة واضربوها بعيري
وجا مشبهانيٍّ على خف وِجْناح

عليه خِرْجٍ من سلوك الحريري
عَصَاه عُود البَرْوَقة عقب ما فاح[٢]

يَسْرَح من الطايف ويمسي البصيري[٣]
سفايفه مثل الغرابين طفَّاح

---

(١) نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١٠٣.

(٢) البروقة: مؤنث بَرْوَق، شجيرة برية أعوادها ناعمة ورقيقة، والمراد أن هذا الجمل الأصيل لا يحتاج إلى عصاً غليظة.

(٣) البصيري: موضع مشهور في عالية نجد، وهو من المواضع التي يختص بها بنو عمرو من حرب، وهو الآن هجرة فيها مركز حكومي رئيسة الشيخ ابن كلاب، شيخ الحوامضة (العبودي). العمور: بني عمرو، ومعنى الشطر الأخير أنهم أهل إبل.

مِزهَبْك يا راعيه تمر ومضيري

واحذر تشب النار يجفل من الضاح[1]

والى وَرَد يشرب ثمانين بيري

غرافهن تسعين وِدْليهن مَاح

رِجْلَيه بالحَرَّة وُصَدره يسيري

ويشرب براسه من على جُمة زْمَاح

يا ويش هو شيٍّ طويل قصيري

يسبق زعاجيل الهوى يوم تِمَّاح

وكذلك زعموا أن الأبيات التالية قالها الشيخ محمد بن هادي بن قرملة شيخ قحطان ردًا على قصيدة ابن حمَيْد ، وهي :

يا تركي بن حمَيْد وش ذا البعيري

ما تجلبونه كان تبغون الارياح

لا عاد له خف وجناح يطيري

أنا اذكر الله راكبه كيف ما طاح

يا ربعنا يا كبر كذب الأميري

ويا حلو كذب مْرَوِّيَة عِلْط الارماح

---

(١) المزهَب (بكسر الميم، وإسكان الزاء، وفتح الهاء): المؤونة والزاد. الضاح: أي الضوء.

كيـف النعامـة نوَّخـت للبعيـري

أقـول ذا كـذبٍ علـى النـاس فـضاح

.... إلخ[1].

أقـول – والله أعلـم –: أن تركـي بـن حمَيْـد بـريء مـن هـذه القصيدة براءة الذئب من دم يوسـف، فالشيخ تركـي قـال قـصيدة جـادة في مناسـبة حقيقيـة، لكـن العـابثين والـرواة حرّفـوا أبياتهـا وزادوا عليها حتى صارت بهذه الصورة، ولم يجدوا من يعـارض تركي بن حمَيْد عادة إلا شيخ قحطان، فردوا على لسانه!

وهذا يذكرني بما يروَى على لسان آدم عليه السلام أنه قـال في حادثة خلاف ولديه هابيل وقابيل:

تغيَّـرت الـبلاد ومـن عليهـا	فوَجْـهُ الأرضِ مغبَـرٌ قبـيحُ
فمالي لا أجود بِسَكْبِ دمعي	وَهَابـيلٌ تـضَمَّنه الـضريحُ
أرى طـول الحيـاة عَلَـيَّ غمًّـا	ومـا أنـا في حيـاتِيَ مـستريحُ

فرد عليه إبليس بزعمهم:

تـنحَّ عـن الـبلاد وسـاكنيها	فقد في الأرض ضاق بك الفسيحُ

(١) من آدابنا الشعبية، منديل الفهيد ج١ ص٧٧ وج٣ ص١٠٤ ط ١٤٠٣هـ. وانظر: معجم بلاد القصيم للعبودي، ج٢، ط٢، ص٥٨٩.

وكنت وزوجُك الحوَّاءُ فيها ... أآدم من أذى الدنيا مُريحُ

فما زالت مكايدتي ومكري ... إلى أن فاتك الثمن الربيحُ

فالذين وضعوا الشعر على لسان آدم لن يعجزهم وضعه على لسان تركي بن حمَيْد وصاحبه! أما القصيدة الأساسية للشيخ تركي بن حمَيْد فلها قصة تتلخص في أن رجلاً منَ المقطة جماعة الشيخ ابن حميد كان يعيش مع قوم من بني عمرو من حرب وهم جماعة الشيخ ابن هنود الربيقي، وهو حباب بن هنود. وحدث أن قُتِل ابن للعتيبي بالخطأ في نزاع وقع بين أناس من حرب، ولمَّا علم تركي بن حمَيْد أرسل القصيدة التالية إلى الشيخ ابن هنود يحثه على تسوية المشكلة، وقد تكون قصيدته أطول من ذلك:

يا راكبٍ من فوق حرٍ ذعيري

سبق الظليم ليا تقافَى بمرواح[1]

يَسْرَح من الطايف ويمْسِي البصيري

دار العمور مْتَيَّهَةْ خِلْفْ وِلْقَاح[2]

---

(١) ذعيري: أي مذعور، كناية عن سرعته وخفته في المشي.

(٢) العمور: بني عمرو، ومعنى الشطر الأخير أنهم أهل إبل.

كَعّامــة العايــل بْحَــد الــشطيري

بمْـسَلّبات مـع معاطـيب وِرْمـاح[1]

سَلِّم على ابن هنود راع القـصيري

قل له قصيرك يا ابيض الوجه مـا راح

إمـا تقـاضَــى فيـه وِلْـد الأميـري

والاّ تــقاضى فيــه يـا ظَبْـي الابـراح

ولما وصلت القصيدة للشيخ ابن هنود قال لحاملها على الفور: هل يريد تركي دية أم قصاصا؟ فقال رسول ابن حميْد: بل ديَّة لأن القتل غير متعمد. فأمر ابن هنود بإحضار الدية وجمعت له في الحال. وهذا مما يدل على نبل الشيخ ابن هنود وأريحيته حيث لم يتقاعس أو يبحث عن أنصاف الحلول، بل حسم الموقف بما يمليه عليه حق الجوار والشيم العربية[2].

وبالمناسبة فإن إمارة ابن هنود إمارة قديمة ومشهورة في حرب كانت تعرف قديما بإمارة ابن ربيق والشيخ الموجود حاليا (أي في سنة ١٤١٠هـ) هو مريبد بن حامد بن هنود ومقره الريَّان في وادي

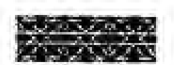
---

(١) كعّامة: صيغة مبالغة من كعم أي أوقفه عند حده. العائل المبتدئ بالشر.

(٢) انظر القصة في ديوان الشعر العامي، أبو عبدالرحمن بن عقيل، ج٣، ص٢٣٢، ط١.

الفرع الواقع جنوب المدينة.

أما إمارة الشيخ ابن حمَيْد في قبيلة عتيبة، فهي أشهر من نار على علم، حيث برز من أبناء هذه الأسرة شيوخ كرام وفرسان شجعان أمثال الشيخ تركي بن حمَيْد ووالده الشيخ صنهات بن حمَيْد. ثم الشيخ عقاب بن شبنان بن حميد المقتول في معركة أم العصافير سنة ١٣٠١هـ، والشيخ الشهير محمد بن هندي بن حميد المتوفى سنة ١٣٣٣هـ وغيرهم. أمّا أول ذكر اطلعت عليه لرئاسة ابن حمَيْد في المصادر التاريخية المتاحة فهو في سنة ١٢١٧هـ، وذلك عندما اشترك الشيخ ابن حمَيْد في وفد أرسله شريف مكة إلى الدرعية لمفاوضة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رحمه الله، ويظهر أن المراد والد الشيخ تركي أو جده.



٢٠- شاعر عتيبي يمدح جيرانه من حرب[1]

تعود هذه القصة إلى ما قبل سنة ١٣٢٠هـ تقريبا، وذلك أن رجلا من قبيلة عتيبة نزح عن جماعته بسبب دم، ونزل مع بني عمرو من حرب وبالذات مع عوَّاد بن فَلاَح الذويبي وهو من أعيان أسرة الذوبة.

وكان العرب في السابق يعتنون بالجار والضيف عناية كبيرة، ويحرصون على راحته وتسليته حتى لا يحسَّ عندهم بالغربة ولا يشعر بالملل. فكان من عادة عواد الذويبي أن يجهز القهوة بعناية ثم ينادي على جاره فيشربانها معا، ويتسامران ويتبادلان الحديث والأشعار.

وفي إحدى المرات نادى عواد جاره للقهوة، ولما جاء العتيبي وإذا القهوة قد أعدت كالعادة على أحسن ما يرام، فشرب منها ما طاب له وذهب عنه التعب، وقال في ذلك قصيدة منها:

القلب ربَّع عِقْب فنجال عَوَّاد

وُهْوَهْ من أوّل مِمْرِح والضَّرَم فيه[2]

---

(١) نشرت هذه القصيدة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مة، ج٢، ص١١٠.

(٢) ربّع: أي ارتد إليه نفسُه وارتاح. الضرم: هو الرغبة في شرب القهوة بعد التعب وخاصة لمن تعوّد عليها.

صَوَّتْ عَلَيَّ وتالي الصوت يزداد

ومن حين جيت وُهْو على النار جاذيه

وُيا الله لا تقطع مذاخير الاجواد

يا الله يا جعل القصَى ما يلاويه[1]

باكر لْيَا من الظعن عنهم انقاد

ذكرت ما في، وُتَذَكَّرت ما فيه

وبعدما سمع جيرانه من الذوبة البيت الأخير عرفوا أنه قد اشتاق إلى أهله، فركب جماعة منهم مع عواد إلى عتيبة، وسعوا في إصلاح ذات البَين بين العتيبي وغريمه، وساقوا الدية لصاحب الدم، فعاد العتيبي إلى قومه. وبعد مدة تذكر جيرانه من الذوبة، فقال قصيدة منها:

عِلْمي بجيراني على صَرْمة العُود

تَنَحَّرَوا وادي الرمَة حادرينِ[2]

يا راكبْ اللي فوقها النَّيْ مرجود

تبني كما حضْرٍ بَنَوا جدْر طينِ[3]

---

(١) القصَى: المراد: القصاء، ويعني الفقر وقلة ذات اليد.

(٢) صرْمَة العُوْد: المراد بعد انتهاء فصل الربيع ودخول الصيف.

(٣) النّي: أي الشحم.

سَلّمْ على فاجر وضيف الله العَوْد

وُذوي فَــلاحَ مُدَلّهيــن الـحـزيـــنِ

وُخص النواصر خَصَّةٍ كلها زَوْد

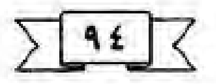
وأيضا لابنْ يوسف من الطيبين[1]

.... إلخ[2].



(١) النواصر من الذوبة، وابن يوسف هو فهد بن يوسف الذويبي، كما يقول الراوي.

(٢) رواية: الأخ ذعار بن شجاع بن عواد الذويبي.



٢١- شاعرة من شمر تمدح الشيخ حجاب نحيت

كان للشيخ والفارس حجاب بن نحيت من شيوخ حرب شهرة عظيمة في نجد خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، حيث ذاع صيته في الشجاعة والفروسية ومكارم الأخلاق، وكانت تلك الصفات تعشقها بنات البادية، وتتمنى كل بنت أن يكون زوجها كذلك، وهذا ما جعل هذه الفتاة تعشق هذا الشيخ وهي لا تعرفه إلا من خلال ما يتناقله الركبان من ذيوع صيته وعلو مكانته، فقالت قصيدة منها:

يا راكبٍ من عندنا ضمَّرٍ حِيْل

ثنتين كن ارقابهن الحنايا

وإن رَوَّحَن يَشْدَن صرير المحاحيل

والاً سْبَاعٍ بايتاتٍ قوَايا

الصبح يمشن من طوارف مكاحيل[1]

والعصر في ديرة حَمِيْد السجَايا

---

(١) مكاحيل أو المكاحيل: موضع في شمال القصيم، واقعة في الحدود الشمالية للقصيم إلى الشرق من قرية الجرثمي (انظر: معجم بلاد القصيم للعبودي، رسم: المكاحيل).

ملفـاك بيـتٍ نايـفٍ لـه تنافيـل

بـيـتٍ كبيـر ونايـفٍ بالبنايـا

إذا لفيتـوهم وجاكـم رجاجيـل

تَرَيَّحـوا عنهـم وقولـوا: ونايـا

كُفُّوا خَبَرْكم لَيْن فات أول الليل

ثم قدُّموا لِحْجَاب كل الخفايا

البيض كل تَدْعَجْ العين بالمِيل

وأنا عيوني من دموعي حفايا

عليـك يـا مِقْـدَمْ عيـالٍ مشاكيل

يا مْوَرِّد الهيَّاب حَوض المَنايا[1]

---

(١) أورد هذه القصيدة الشيخ منديل الفهيد في كتابه (من آدابنا الشعبية ١/٨٤١)، وكذلك المرحوم عبدالله الزامل في كتابه الأدب الشعبي، ط١، صفحة ٦٣، وعبدالله ابن رداس في شاعرات من البادية، ط٥، ص١٤٨.

٢٢ - قصة وقصيدة الشاعر ضيف الله الوهبي*



أورد الشيخ العبودي من هذه القصيدة ثلاثة أبيات ولم يذكر مناسبتها[١]، ولهذا فإننا نورد مزيدًا من المعلومات عن القصيدة وقائلها.

أما صاحب القصيدة فهو الشاعر ضيف الله بن محمد بن درباس من الوهوب، من مسروح من حرب، توفي سنة ١٤٠٥هـ عن عمر يناهز التسعين عامًا.

أما القصيدة فيرجع تاريخها إلى سنة ١٣٧٠هـ تقريبًا، وهي تدل على مدى اعتزاز الشاعر بقومه وصدق ولائه لقبيلته.

وخلاصة القصة؛ أن الشاعر حل ضيفا على أحد شيوخ قبيلة شمر، وهو الشيخ محمد بن ضاري بن طوالة، رحمه الله، إلاّ أن ابن طوالة الذي كان مجلسه مكتظًا بأعيان قبيلته راح يتكلم عن قبيلة الشاعر بكلام لا يستحسن من مثله لما فيه من التعريض والتحامل. وسكت الوهبي على مضض، ولما نفد صبر الشاعر أراد أن يوضح

---

* نشرت هذه القصيدة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص٧٩.

(١) معجم بلاد القصيم، ط٢، ١٤١٠هـ، ج٣، ص٢، (١٤١٠هـ).

لمضيفه أنه أخطأ في حق قبيلة الشاعر، فخاطبه قائلاً: "يا طويل العمر! إن هذا الكلام لا ينبغي أن يصدر عن شيخ كريم مثلك عن قبيلة من قبائل نجد يربطها بقبيلتك روابط الدين والجوار".

وأضاف قائلاً: "وإني أستغرب أن يصدر منك مثل هذا الكلام وجلساؤك صامتون معجبون! فوالله لو تفوَّه شيخ من شيوخ قبيلتي متعرضًا لقبيلة أخرى لما سمح له جلساؤه بذلك"!.

لكن الشيخ رد عليه ردًا غير مرضٍ، فكان مما قال: "أنت زعلان يا الوهبي؟ إن كان عندك شِين هاته!".

فقال ضيف الله الوهبي وهو ينظر إلى أحد الشيوخ الجالسين: "إن كفلني أحد جلسائك تكلمت!". وفهم ذلك الشيخ المشار إليه مراد الشاعر، فقال: "أنت في وجهي يا ضيف الله، هات ما عندك!".

وهنا ارتجل الشاعر القصيدة التالية ومعظمها في مدح قبيلته وبالذات الشيخ الفِرْم ومنها:

يقول ابن دِرْباس في وِسْط مَيْدان

تَسَمَّعوا للقول يا الفاهميني

ذكرت ربّي وانخزى كل شيطان

بَدَّيْت ذكر الله على الاجمعيني

اللي رفع عرش السماء دون عمدان

الواحد اللي ما لملكه حتيني[١]

على النبي صلّيت والرب سبحان

علاّم ما يخفى وما يستبيني

واركبت مندوبي على بنت شقران

بنت الشراري لأصلها حافظيني[٢]

بين الركايب بَاصْلها سبع قِعْدان

عِسْفَت ربَاع وطَبْعها صار زيني

جَمَل عَبَكْلِي واللحاوي وهملان

وترضع رضاع حْوار مَعْ جولتيني

مرباعها بين الصداوي وفيحان[٣]

مع نشر بَدْوٍ للخطر مرتعيني

ركّابها من عندنا مد عَجْلان

مَمْشى ثمان أيام له ليلتيني[٤]

---

(١) حتين: أي ند أو شبيه.

(٢) بنت شقران: أي ناقة أصيلة تنحدر من سلالة شقران، وهو جمل معروف بأصالته بين البادية.

(٣) الصداوي وفيحان موضعان مشهوران في منطقة قبة.

(٤) مد: أي غادر وارتحل.

وإن رَوَّحتْ مَعْ خايعٍ عقْب مرجان

حـط الطليحـي والبعيشـة يـميـنـي

تلفي على بيت الصخا فيه ديوان

تلقى هـل المعـروف بـه جالـسيني[1]

سَلِّم على اللي للعدو سم ديان

خـص الأميـر وربعنـا الحاضرينـي

اللي منـارتهم كمـا حَـرْث فَـدَّان

البـن يـحَمَـسْ والمقهـوي فطيـنـي

يجْذِبْك صوت نجورهم قبل الاذان

وكـلٍ يقـول لْـضَيفكم عازميـنـي

وصِيَاني. يرْمَى بها اذناب خرفان

مـن عنـد أبـو جَلاَّل للغانمينـي[2]

عَقب الفروم اللي على الخيل فرسان

شريدة الفرسان حِرز الكمينـي[3]

---

(١) الصخا: أي السخاء والكرم.

(٢) أبو جلال هو الشيخ محسن بن صنيتان الفِرم من أشهر شيوخ بني علي المتأخرين.

(٣) شريدة الفرسان: أي بقية الفرسان، وهذا اللقب يطلق على شيوخ الفروم.

ماكَرْ حَرَارٍ من سلايل صْنَيْتان

عقب الفروم شيُوخنا المِقْدَمِيني

عِزٍ على التوحيد وإن خان بَوقان

مضراب كَفّه في عَدُوّه يبيني

إلى أن يقول:

عاداتهم طش المجوّخ لْيا بان

واسْهومهم ترمي الشَّواة السّميني[1]

جُدودنا لجدودكم دَوْم عدوان

وُحِنّا على اللي مثلكم كايديني[2]

والخيل لَزٌ والبواريد نيشان

كان انت جاهلْ فانشدْ العارفيني

الآدمي يخلق على قلب ولْسَان

الزول صورة والعمل بالثنيني

---

(١) المجوّخ: المقصود الرؤساء والزعماء لأنهم يلبسون الجوخ، وهو ما يوضع فوق الرأس للدلالة على الزعامة.

(٢) لا شك أن هذا من كلام العصبية الماضية، أما اليوم فالجميع إخوة بفضل الله تعالى، ثم بفضل تطبيق الشريعة السمحاء، والعلم الذي رفعت مشعله القيادة السعودية الراشدة.

.... إلخ.

ولعل القارئ الكريم يلاحظ التشابه الكبير بين البيت الأخير في هذه القصيدة وبين قول الشاعر العربي زهير بن أبي سلمى:

لسان الفتى نِصْفٌ، ونِصْفٌ فؤاده

فلم يبق إلاّ صورة اللحم والدمِ



٢٣- قصة سرور الأزغر

سرور الأزغر من العرَيمات من بني سالم من حرب. توفي سنة ١٣٨٦هـ، وهو من الرجال الأفذاذ الذين يعتزون بقبيلتهم ويتشرفون بالانتساب إليها، ولا يقبلون أن ينال منها أحد. وقد حدثت هذه القصة له وهو في شبابه، مما يعني أنها جرت في حدود سنة ١٣٥٠هـ تقريبا.

وخلاصة القصة: أنه في إحدى السنوات كان جماعة سرور قاطنين على بلدة طابة من قرى حائل الجنوبية، حيث تقطن القبائل في وقت الصيف على القرى وموارد المياه، وأثناء نزولهم في ذلك الموضع وقع سرور في عشق إحدى بنات البلدة وأحبها حبا عفيفا، فما كان منه إلا أن تقدم لأهلها خاطبا، ونظرا لما يعرفونه عنه من الرجولة ومكارم الأخلاق لم يترددوا في قبول طلبه، لكنهم اشترطوا عليه شرطا كان من عاداتهم في الزمن السابق وهو أن تبقى الفتاة عند أهلها بعد زواجها لمدة لا تقل عن سنتين، ونظرا لتعلقه بها فقد قبل على مضض وتزوجها.

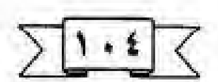
وبعد مضي حوالي سنة من زواجه مَلَّ سرور من المقام في الحَضَر، ورغب في اللحاق بأهله وعشيرته الذين رحلوا بعد انتهاء الصيف وحلول فصل الربيع، فما كان منه إلا أن صارح والد الفتاة برغبته في أخذ زوجته واللحاق بأهله، لكن والدها رفض بشدة، فكثر الجدال والخصام حول هذا الموضوع، وفي إحدى المرات اشتد غضب والد الفتاة، وتكلم على سرور كلاما طائشا، وكان مما قال: "أنت عْلاقة مع حرب!". ومعناه أن حرب لا يريدونك ولذلك تركوك عندي وإنك جئت لحاجتك إلي. ولم يكتف الوالد الغاضب بهذا؛ بل تلفظ ببعض الكلمات التي فيها تحامل على قبيلة الشاعر وتقليل من شأنها. وهنا ثارت ثائرة سرور الأزغر، ولم يستطع السكوت، ورخصت عنده الزوجة فلم يحسب لغضبها أو غضب أهلها حسابًا، وارتجل القصيدة التالية موجها الخطاب إلى والدها:

ما جيت لك معتاز جيتك اعشاقه

والحِرْ يقضب بالعَلَف والسبوقي[1]

---

(١) يقصد هنا أن الصقر يتم الإمساك به عن طريق وضع الطعم له، والمراد بالعلف هنا هو ما يوضع للصقر من أنواع الصيد الذي يتغذى به من الطيور ونحوها لإمساكه.



ولا تحْسِب اني عند ربعي اعلاقة

واعلّمَـــك بافعـــالهم يالطبـــوقي

ربعــي كمــا درعٍ تكــارب احلاقــه

وياما ايتموا من عين بنتٍ عشوقي

عــاداتهم نثــر الحَمَــر واندفاقــه

بالــشيخ والاّ بالـجَــوَاد الــسبوقي

وانشد ترى ينكف عن الكذب ساقة

انـشد تـرى ذيـب الاصـابع صـدوقي

عَيَّنت ضاري عقبه الهجن ضاقة

عقبـه بـرِي منهـا الحَفـا والرهـوقي

عِلّيـت يـا خـدٍ تكَـوَّح ارقـاقـه

صلفة تصيح وتزعج الصوت فوقي

وُعَيَّنت محسن يوم للريـع أواقـه

يـبي الطمـع صَـعْبٍ عليـه الفهـوقي

تبكـي مويــضي ذوَّقوهــا فراقــه

تبكي على الهيظل عقاب الشروقي

وَعَيَّنـت أبـو تايـه وقـع باحتماقـه

مــا ذاق مــن بـرد الهبايـب نـشوقي

من كف بادي[1] ضاري للتفاقة

عليه خِلْجه كَشرن الصفوقي

وأيضا الصدَيْد اللي غزا من عراقه

يوم اذكروا له عندنا رَتْع نوقي

رموه رَبْعِي يوم هو باصطفاقه

في ساعةٍ مبسوط للعمر سُوقي

ما يستوي للموت زين الرفاقة

شيخ كريم وللمعادي يعوقي

ولا تعتزي بمغليث يا الهقاقة

ما يعتزي بالذيب وِلْد السلوقي

ويشير الشاعر في هذه القصيدة إلى شجاعة قومه العرَيمات الذين برز منهم فرسان ورماة شجعان، ويذكّر هذا الذي انتقص من قدرهم بمن قتلوه من الشيوخ والفرسان الشجعان[2].

(١) بادي بن شعيِّب الكعبي العرَيْمة، وهو من الرماة المشهورين في قبيلة حرب، قتل في أواخر عام ١٣٣٧هـ في غارة لقوات الملك عبدالعزيز على البشارية من حرب جنوبي منطقة حائل.

(٢) نشرت هذه القصيدة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص٨٥، نقلاً عن رواية الشاعر: حبيب بن عواد العرَيْمة الحربي.

٢٤ - قصة عوض أبو راسين من بني عمرو*

عوض بن رافد بن ناصر، الملقب أبو راسين من الربقة، من بني عمرو من حرب، كان شابا يافعا لكنه كان شجاعا جريئا، وقد عاش هذا الشاب في أول القرن الرابع عشر الهجري حيث أدرك الشيخ ناهس الذويبي المتوفى في حدود سنة ١٣٣٥هـ، ويبدو أن عوض أبو راسين قتل قبل وفاة ناهس بسنوات.

وقد ظهرت بوادر الشجاعة على هذا الفارس في وقت مبكر، ومن ذلك أنه في إحدى المرات طلب من صانع بني عمرو أن يعمل له حَربة جيدة، ولما أخذها من الصانع قال مفتخرًا بها ومهددًا أعداءه، وهذا الشعر من نوع الحداء الذي يستعمله الفرسان:

لي حربةٍ صَنَّاعها حَمْلان

ما تشرب الاَّ من غزير الجوف

ميعادها الصندوق يا الجذعان

واللي مْكَذبني يزيد يشوف

---

* نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١٣٤.

وقد أخذ عليه بعض أقرانه هذا الاعتداد الزائد، فأراد أن يثبت لهم صدق ما يقول. وحدث ذات يوم أن بني عمرو برئاسة الشيخ ناهس الذويبي ارتحلوا من موضع يقال له القِحصية ونزلوا قرب جبل دِبي الواقع جنوبي حائل، وكلا الموضعين في عالية نجد الشمالية. وحال نزول العرب في ذلك الموضع تركوا إبلهم في المرعى وتسابقوا على منهل الثمامية، خاصة أصحاب الخيل ليسقوا خيلهم ويجلبوا الماء لأهلهم. وقد حذرهم الشيخ ناهس من الورود جميعا وترك الإبل دون حراسة، لكن حاجة القوم للماء وشدة عطشهم غلبت عليهم، وهنا برز الفتى عوض الذي كان يتحين الفرص لإثبات شجاعته والرد على خصومه، فضرب صدره وقال: "أنا سأبقى عند الإبل وسأحميها بإذن الله!".

وعاد الفتى إلى الحي وجمع من الماء ما يسقي فرسه ثم لحق بالإبل.

وعندما وصل الإبل بعد أن ارتفع النهار نزل عن فرسه ونشر عباءته على شجرة واستظل بها ليرتاح قليلا، لكنه لم يكد يغمض عينه إلا وأحد رعاة الإبل يصيح فوق رأسه مستنجداً، فنهض بسرعة وإذا فرسان الأعداء قد التفوا على الإبل، فوثب

على ظهر فرسه وهمزها باتجاه الإبل، وكان أول من لاقى من أهل الخيل المغيرة الفارس ضيف الله بن سفر المرشدي من أشجع فرسان الروقة من عتيبة، وكان الخيال العتيبي مظهرا يده اليمنى مع صدر ثوبه، وذلك شيء متبع في المعارك حيث ينزع الفارس أحيانا ثيابه أو يخرج يديه من أكمامه ليعطي نفسه مزيدا من الحرية في الحركة أثناء الكر والفر. رُوي عن عوض أبو راسين أنه قال: (والله ما إن رأيت بياض صدره وحربتي في يدي حتى تذكرت قصتي مع البيتين السابقين، فقلت هذه فرصتي، فاستجمعت قواي ثم وجهت الحربة إلى صدره المكشوف، وأهويت بها بكل قوتي وإذا هو يخر صريعا، وإذا بخيَّال آخر على فرس حمراء قد أقبل علي، فبادرته بالرمح فإذا هو بالفرس فتعثرت بصاحبها، فوقع على الأرض لكنه لم يصب بسوء، ثم انحرفت إلى خيَّال ثالث ورميته بالرمح فأصاب الفرس إصابة قاتلة دون صاحبه. ولما رأى المهاجمون وقوع ثلاث من خيلهم بالإضافة إلى واحد من خيرة فرسانهم فضلوا السلامة على الكسب، وتركوا الإبل خوفا على خيلهم – لأن الفرس الواحدة تعدل قطيعا من الإبل – إلا أنهم أرادوا الإفلات بناقة

كانت قد انفردت عن الإبل فأخبرتهم أني لن أتركهم يأخذونها ما دمت قادرا على القتال، وأخيرا تخلوا عنها، فعدت بها إلى الإبل قبل أن يصل فرسان حرب).

ولما عاد فرسان حرب في المساء وأخبروا الشيخ ضيف الله الذويبي، وكان قد طعن بالسن وجعل له متكأ يلتف حوله كبار القوم طلب الفتى عوض وأجلسه إلى جانبه ثم داعبه قائلا: ما أخبار الحربة اليوم؟

فرد الفتى ما كذبت اللعيبة يا طويل العمر!

واللعيبة تصغير لعبة يقصد بها البيتين السابقين الذين قالهما في مدح حربته. وبعد أن عاد هذا الفارس إلى بيته بعدما هجع القوم أو كادوا، تناول ربابته وغنى معها أبياتًا منها:

وَسْط النهار وُكِن غاشيني الليل

يوم على القطعان جا له كرارة

ركِبْت فوق اللي تشع اشهب الذيل

ورّدَّيت عنها لابسين الغيارة

ونطّحته اللي ضاري للمفاعيل

يبي إلى عَوَّد تردّد خبَاره

ونطّحْتَه اللي كل راسه شلاشيل

يا سِرْع دم الجوف فاح انتثاره

وذَبَحْت حَمْرا، وصفها نقوة الخيل

سهلة مقاد، وسابقة كل غارة

ومصوّب غوجٍ كما طلعة سُهَيْل

ما قاد مع راعيه تالي نهاره

كلّه لعين اللي ترود المخاليل

من ذود ابن حرموص وضحا نوارة

ويقصد في البيت الأخير قتاله دون الناقة الأخيرة وهي من إبل ابن حرموص الربيقي من بني عمرو.

وكعادة الفرسان الشجعان، فلم يعَمّر هذا الفارس طويلاً حيث قتل في إحدى الوقائع بالشمال، ويقول رواة حرب إن فرسه بقيت عنده أيامًا وهي تطوف حوله تحمي جثته من السباع والطيور الجارحة إلى أن ماتت عنده عطشًا وجوعًا، وهذا من وفاء الخيل الذي يتناقله العرب.

وحدثني الشيخ صنهات الشطير رحمه الله فقال: (سمعت والدي يحدث بها، فكان مما قال: بعد مدة من الوقعة التي قتل

فيها عوض كنا مارين بمكان المعركة، ووقفنا ننظر جثته فوجدنا أثر فرسه عنده وإذا هي قد حفرت الأرض بحوافرها على شكل دائرة عندما كانت تطوف حوله وتطرد عنه السباع).

ويبدو أن هذا الفارس لم يقتل في ميدان القتال وإلاّ لأخذت فرسه لكنه أصيب في إحدى غاراته أثناء الطراد، فعاد مصابًا وضل الطريق فوافته منيته في غيبة من رفاقه.

أما فرسه هذه فهي مشهورة عند بني عمرو في أصالتها وطيب مربطها وقد اشتراها له والده بثمن كبير، حتى إن بعض شباب قومه كانوا يتمنون مثلها، وفي ذلك يقول أحدهم حاديا، وهو عوض بن ضويحي بن سعيد الحنيحنة، من بني عمرو:

يا ليت ابُويَه مثل ابو راسين　　　يشري لي القبَّا الجموح

أضرِب عليهم وان غدو رِزوين　　　والعمر صيُّوره يروح

وهكذا أسْدِل الستار على فصل من فصول البطولة بموت هذا الفارس في عنفوان شبابه[1].

(١) روى لي هذه القصة كل من: الشيخ صنهات بن بدر الشطير، وسعد بن نفاع بن مغذف المريعزي، وحامد بن حرمرص الربيقي، وكلهم من بني عمرو من حرب.



٢٥- من أشعار عياد الأحمدي وأخباره*

وقعت هذه القصة على زمن الأمير طلال بن رَشيد وعمه عُبَيْد بن رَشيد أي خلال الفترة (١٢٦٥-١٢٨٥هـ) تقريبًا. وهي تدل على الشجاعة وعدم قبول الضيم، أما صاحبها فهو عياد[١] الأحمدي من الأحامدة من حرب.

كان عياد هو وأخوه مجلّي من رجال ابن رَشِيد، حيث كانوا يقومون بمرافقة حجاج ابن رشيد ليؤمنوا مرورهم عبر ديار حرب فيما بين مكة والمدينة. ونتيجة لتزايد أعداد حجاج ابن رشيد فقد طلب عياد زيادة مخصصاته نظرًا لتزايد مسؤولياته، لكن ابن رشيد غضب على عياد واستهان بطلبه؛ بل إنه عين شخصًا آخر مكانه.

ونظر عياد إلى تصرف ابن رشيد على أنه إهانة له ورفضًا لحقه المشروع، فأمر أخاه مجلّي بالإسراع في الرحيل من حايل، فخرجا من ليلتهما وقصدا ديار قومهما الأحامدة غرب المدينة، وفي ذلك يقول عياد من قصيدة له:

---

* نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص٦٥.

(١) أفادني الشاعر والراوي غريب بن فهيد بن ناحل الأحمدي، أنه: عياد بن ولمان الأحمدي، وأنه أخو مفضي بن ولمان الأحمدي.

دنُّوا الرحايل وَاوْلُموا لي عليها

أبـا اتْنـزّح يـمْ ديـرة هَـلٍ لـي

الديرة اللي ما خذ الحق فيها

يَحْـرم علينـا مَسْكَنه يـا مجلّـي

لو اقْبَلَتْ ما عاد نِقْبِلِ عليها

لو تنقلب بطحاه عِشْبٍ وزَلّي

لـي ديرةٍ مـا وقّـف الظلـم فيهـا

نوفي الحقـوق وحقنـا مـا نخلّـي

...إلخ.

وعَيَّن ابن رشيد مرافقًا آخر لحجاج الجبل ومَن تحت عَلَمِهم من حجاج العراق وفارس، ولمَّا علم عياد وأخوه وجماعتهما بالخبر رفعوا الأمر إلى الشيخ أحمد بن محمود ابن عَمِيرة من شيوخ قبيلة الأحامدة، وكانوا العَمِيـْرة أخواله، وفي ذلك يقول عياد مخاطبًا له وشاكيًا له من هذا الظلم، وهدفه استثارة الشيخ ابن محمود وجماعته لاعتراض حملة ابن رشيد عندما تصل إلى المدينة:

يا راكبٍ من فوق كُور العمَاني

يمشي النهار وجملة الليل يَسْرِيه

يا ابو فهد يا زبن من جاك عاني

جرح الحشا في ضامري كيف اداويه

صبرت لَيْن انه على الناس باني

وُترى كثير الصبر هو عَوق راعيه

كيف البغل يا كل عَلُوق الحصاني

وابا الحصَيْن يداور الذيب باغيه

هذا زمانٍ صاير شقلباني

أول غبونه بَيّناتٍ مواريه

حِنّا خوالك مطلقين اليماني

نوفر الحقوق وحقنا ما نخلّيه

ولْيَا ركبنا فوق حِرْش الثفاني

عدونا لو هو بعيدٍ نفاجيه

نضرب بحد السيف ما هي تِمَاني

واللي صَعَب يا شيخ حنا نهَدّيه

...إلخ.

وأبو فهد المخاطب في البيت الثاني هو الشيخ أحمد بن محمود شيخ قبيلة الفضلة من الأحامدة من بني سالم من حرب، والموجود الآن - أي سنة ١٤١٠هـ - من أحفاده هو الشيخ

صادق بن سلطان بن سيف بن فهد بن أحمد بن محمود.

ثم يذكر الرواة أنها أقبلت حملة ابن رشيد ويسمونها البيرق، وشاء الله أن يكون على رأسها الأمير عبَيْد بن رشيد بنفسه، فرصد الأحامدة للحملة يتقدمهم عياد الأحمدي وشجعان قومه، واعترضوا القافلة وأوقفوها، وتقدم رجل من جماعة عياد وطلب من الأمير النزول لكنه تمنّع، فضرب الرجل الراحلة بقناته الغليظة، فقال صاحبها: "أنا عبَيْد بن رَشيد يا بَعَدْ حَيِّي!".

وهنا جاء صوت عياد: "كل بديرته عبَيْد يا ابن رَشيد!" وقد ذهبت هذه الجملة مثلاً. ثم أردف قائلاً:

أيضًا ترى يا امير حِنَّا مناعير
حرار لو كنَّا بعينك صَغَاري
حقوقنا تاتي بروس العناقير
قاسين عند حقوقنا وانت داري

ويقال إن الأمير عبَيْد بن رشيد قال: "إي والله داري ثم داري!".

ولم تتحرك القافلة إلا بعد أن تم إرضاء عَيَّاد الأحمدي. وفي



هذه المناسبة قال ابن رشيد قصيدته المشهورة التي منها:

عن دار مدهون القناة ابعدوني

الله لا يذكر هاك الوجه بالخير

ومن الجدير بالذكر أن الرواة يخلطون في رواية هذه القصة ويروونها بطرق مختلفة نظرًا لوجود قصص مشابهة، فقد ينسبها البعض لرجال من بني علي، أو من عوف، أو من ولد محمد، ويبدو أن ذلك يعود لتكرار مثل هذه الحوادث خصوصاً مع قبائل حرب الواقعة ديارها على طرق القوافل التابعة لابن رشيد(١).



(١) اشترك في رواية هذه القصة كل من: الشيخ محمد بن زيدان بن مطلق، والشيخ عبدالرحمن بن خلف ابن جزا الأحمدي، والأخ غريب بن فهيد بن ناحل الأحمدي، وغيرهم.



٢٦ - من قصص العفو ورد الجميل *

حدثت هذه القصة في حدود سنة ١٢٦٠هـ، وأبطالها أبطال حقيقيون جمعوا بين العفو عند المقدرة والوفاء وبين الشجاعة والإقدام، عفى الأول عن غريمه عندما تمكن منه، فكافأه الثاني بإنقاذ حياته في ميدان الوغى.

أما الأول فهو الفارس الشجاع عرنان بن ناهض، وأما الثاني فهو الفارس المشهور الهنيدي بن مُهَوِّس وكلاهما من الشعب، من بني عمرو من حرب.

وخلاصة القصة: أنه حصل خلاف بينهما، فعدى الهنيدي على ابن عمه عرنان وطعنه، ثم جلا عن القبيلة.

أما عرنان فإنه ما إن شفي من إصابته حتى صار يبحث عن غريمه ليقتص منه، وبعد حوالي سنة تقريبًا عرف مكانه، فخرج هو وأخوه محيميد في أحد الأيام يترصدان للهنيدي، ولما وصلا إلى موضع قرب البعَجا في عالية نجد وجدا ناقته وقد تركها ترعى قبيل المغرب، ولما تأكدا من معرفة الناقة أيقنا أنه سيأتي لأخذها

---

* نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص٨٩، نقلاً عن صنهات الشطير.

قبل حلول الظلام، فاختبأ بالقرب منها، وما هي إلا لحظات حتى جاء الهنيدي كما توقعا، ليس معه إلا عصاه وعقال ناقته. ولما انشغل في عقل ناقته خرجا عليه بسرعة، فلم يشعر إلا والرجلان يحيطان به شاهرين سلاحهما، فلم يكن أمامه خيار إلا الاستسلام لقضاء الله وقدره، وأيقن أن منيَّته قد حانت.

وبادره عرنان قائلاً: "حَيَّا الله عميل السوء!".

فرد الهنيدي بكل ثبات: "القدر ما منه مفر يا ولد ناهض، ولكن أرجو أن تسمح لي بركعتين قبل أن تقتلني!".

فقال عرنان: "إن شئت خذ أربع ركعات!".

استقبل الهنيدي القبلة وكبر تكبيرة الإحرام وهو قد أيقن بالموت، أما عرنان فكان على ظهر مطيته يرقبه حتى لا يهرب، في حين كان أخوه الأصغر محيميد مصوبًا بندقية نحو الهنيدي ينتظر فراغه من الصلاة بفارغ الصبر ليفرغ فيه بندقيته!.

هكذا كان الموقف خلال هذه اللحظات الحرجة، ولكن الطبع يغلب التطبع، والشيم العربية الأصيلة تبرز في أوقاتها، وهذا ما حصل فعلاً، فإن عرنان بعد أن وقع خصمه بين يديه حدثته نفسه الأبية بالعفو، ونهاه عقله الكبير عن قتل ابن عمه الشجاع لمجرد إشباع

رغبته بالثأر والانتقام، وبدون تردد قرر العفو عن ابن عمه وادخاره للشدائد، وتم كل هذا والهنيدي لم يركع ركعته الثانية!.

وفجأة قطع عرنان لحظات الصمت والترقب، ونادى على أخيه المتحفز لإطلاق النار قائلاً: "يا محيميد عليه وجه الله ثم وجهي!".

وفوجئ الأخ الأصغر بقرار أخيه، وحاول مناقشته في ذلك، لكن الرجل الشهم قد اتخذ قرارًا لا رجعة فيه. فلم يكن أمام محيميد إلا الانصياع لأمر أخيه الأكبر. وبعد أن أكمل الهنيدي صلاته تعانق الثلاثة عناقًا حارًا، وعادوا إلى أهلهم متسامحين متصافين.

ومرت أيام وشهور ليست كثيرة، وفي صباح أحد الأيام لم يشعر القوم إلا والغارة تنصب عليهم من إحدى القبائل المنافسة، فهبوا لصد الغارة، وحصل وقعة هائلة عند إبل قبيلة الشعب، وكان على رأس فرسانهم المدافعين عن الإبل كل من عرنان بن ناهض والهنيدي بن مهوّس تحت قيادة شيخهم الشطَيْر، وأثناء التحام الفرسان تمكن فارس من إصابة فرس عرنان إصابة قاتلة، فترجل عرنان عن ظهرها، وكاد فرسان الأعداء أن يقضوا عليه، وفي هذه الأثناء كان الهنيدي يقارع فرسان القوم، ولما رأى ما حلّ بعرنان جاء إليه مسرعًا ليحميه من الأعداء، واقترب أحد الفرسان

يريد أن يقضي على عرنان فاستقبله الهنيدي بشلفاه فوقع الفارس أرضًا، واختطف الهنيدي عنان فرسه، وكانت فرسًا أصيلة، وأسرع بها إلى عرنان وناوله لجامها، وهو يقول: أبشر بالعوض!.

وأخذها عرنان وركبها، وإذا هي أجود من فرسه المقتولة. ثم واصل الهنيدي مناوشة فرسان الأعداء، وتمكن من إصابة فارس آخر، واستولى على حصانه، وكان أحد فرسان الشعب قد أصيب جواده فقال له الهنيدي: اركب الحصان! فقال الفارس: وهو لي؟ قال: لا. لكن لك ظهره هذا اليوم وإذا انتهت المعركة وهو سالم فاربطه عند بيت عرنان.

ثم انتهت المعركة، وفي المساء لما عاد عرنان إلى بيته وإذا بالحصان الأصيل مربوط أمام البيت، بالإضافة إلى الفرس الثمينة التي تحته.

وهكذا أنقذ الهنيدي حياة ابن عمه عرنان من القتل، وعوضه عن جواده بجوادين أصيلين، وكل ذلك مكافأة لجميل ابن عمه عرنان بن ناهض الذي عفى عنه بعد ما ظفر به؛ وتلك هي شيم العرب الخالدة![1].

---

(١) رواية: الشيخ صنهات بن بدر الشطير.

٢٧- مع الشيخ حجرف الذويبي

حجرف بن عيَّاد بن عبدالله الذويبي من أشهر شيوخ بني عمرو من حرب، وأسرة الذويبي اشتهرت منذ وقت طويل بين قبائل نجد بالكرم والشجاعة والإقدام.

وأول من وصل إلينا ذكره من شيوخ هذه الأسرة الشيخ الشهير عياد الذويبي، حيث ذكر ابن بشر في تاريخه أنه هزم أهل القصيم وأهل الجبل ومعهم بعض بوادي عنزة مجتمعين في شهر محرم سنة ١٢٢٩هـ شرق الحناكية.

ويبدو أن الإمارة انتقلت من عياد إلى أخيه عوَّاد وعقبه فيما بعد. وعواد لا يقل شجاعة وشهرة عن أخيه عياد، وقد خلَّف عواد بن عبدالله أبناء وأحفادًا ذاعت شهرتهم في نجد والجزيرة بالشجاعة والفروسية مثل عقاب بن عواد وأولاده وأحفاده، ومثل ضيف الله بن عقاب الذويبي وأخيه محمد الملقب أبا الروس، وناهس بن فاجر المتوفى في حدود سنة ١٣٣٥هـ. ثم أبناء ناهس ومن أشهرهم هندي المتوفى سنة ١٣٨٧هـ، وفيحان المتوفى سنة ١٣٧٤هـ، ومحمد، والشيخ نايف بن ناهس أمير

اللواء السادس بالحرس الوطني بالمدينة المنورة – سابقًا – وكلهم شيوخ كرام أخذوا نصيبهم من الشهرة والسؤدد[1].

وللأسف؛ فإن عقب الشيخ حجرف الذويبي الذي قل أن يجود الزمان بمثله قد انقطع بموت حفيده دارع بن عبيد بن حجرف المتوفى سنة ١٣٣٠هـ تقريبًا.

وقد ذاع صيت حجرف بالكرم والشجاعة وهو صغير السن، واشتهرت قصصه، فصارت من أحاديث السمر عند أهل نجد، حتى صار الرواة يبالغون في أخباره وينسبون له القصص الخيالية التي تصل إلى حد الأساطير أحيانًا. ومن أشعار حجرف الذويبي قصيدته المشهورة التي منها:

يقول ابن عَيَّاد وان بات ساهر
ماني وَلَد خِبْلٍ همومه تْشَايله[2]
ماني بمسكينٍ لْيا قل مَرْزقه
ضَيَّق بْرَبْعِه يوم قلَّت محايله

---

(١) توفي هذا الشيخ سنة ١٤١٣هـ.

(٢) ماني: أي ما أنا. تشايله: أي تراوده وتجعله سريع الغضب كثير الشكوى والتذمر بسبب ذهاب المال وقلة ذات اليد.

أنـا ليـا ضاقــت عَلَيَّــه توسَّـعتْ

يفـرج لـي اللـي مـا تعَـدَّد فـضايلـه

يـرزقني رزاق الـهـوايش بــجحرها

لا طالعـت بـرقٍ.. ولا هـي مخايلـه[1]

ما حدَّرَتْ زَمْلٍ نصَى صَوْب قرية

ولا ورَّدَتْ عِــدٍ قَــرَاحٍ ثمايلـــه[2]

وُرِزْق غـيري يـا مَـلاً مـا ينـولني

وُرزقـي يـجي.. لـو كـل حَـي يحايلـه

...إلخ الأبيات[3].

وربما تكون الأبيات أكثر من ذلك بزيادة بيت أو بيتين لا أكثر، أما ما زاد على ذلك فهو من وضع الرواة المعاصرين، وسيأتي الحديث عن ذلك.

---

(١) الهوايش: أي الهوام وحشاش الأرض التي يأتيها رزقها رغم قلة حيلتـها، لأن الله عز وجَل تكفل بالأرزاق. معنى الشطر الثاني أنها لا تترقب البرق وترجو المطر كما يفعل الإنسان وخاصة البدوي.

(٢) حدَّرت: أي أرسلت. زمل: أي ركب. نصَى: أي توجَّه. صوب: أي باتجاه. والمعنى أن هذه المخلوقات الضعيفة لم ترسل من يجلب لها الماء والطعام من القرى والأسواق، ومع ذلك فهي عائشة، ورزقها مضمون.

(٣) هذه الأبيات مشهورة، نشرها جامعو الأدب الشعبي، وعلى رأسهم الشيخ منديل الفهيد رحمه الله، كما رواها لي عدد من كبار السن في أسرة الذويبي وغيرهم.

وبالمناسبة فإن بعض الرواة يخلطون بين قصص حجرف الذويبي وقصص شايع الأمسح من قبيلة شمر وذلك لتشابهها، فقد كان شايع الأمسح من المعدودين في الكرم اشتهر في شمر كما اشتهر حجرف في حرب.

ومن قصص شايع المشهورة التي يوردها الرواة ويستشهدون عليها بالقصيدة التالية، أنه في إحدى المرات اتفق بعض قومه على أن يرحلوا عنه ولا يتركوا له شيئًا لعله يقتصد في كرمه الزائد، ثم جاؤوا إليه ليلاً ليروا كيف يتصرف مع أضيافه عندما لا يجد ما يقدمه لهم، لكنه عرف هدفهم واكتشف أنهم جاؤوا على سبع ركائب وأخفوها عنه، فذبحها جميعًا وقدمها لهم - هكذا تقول الرواية التي أشك في صحتها -.

ويقاله إنه بعد أن أكثروا عليه اللوم واتهموه بالإسراف في الكرم وإتلاف المال قال قصيدته التالية التي منها:

أنا من اهَلْ سَلْمَى من شيوخ شمّر

واقعود الخفا عِقْب البيان مَلام

أنا ابي العلا ومطلوبي العلا

وانا من هَلهِ من سابقِ واقْدام

يلـومـوني الانـذال الله يلـومهـم

يلوموني والخايبين لِيـام

يقولون خل الضيف لا تعتني به

يـون الـرَّدَى يَبْنـِي عَلَـيَّ سَنـَام

يا كيف اخَلّي الطّيب واعود للردى

وانـا اشـوف مـا لـي بالديـار مقـام

حَلَفْـت مـا خَلّيـت مـال لـوارث

يـصير بيـن الوارثيـن اقسام

حـذا مهـرةٍ صـفرا ولَـدْن مـن القنـا

وسـيفٍ صـقيل في يميـن غـلام

هـذا قليـلْ الطيـب يـا اللـي تبونـه

طِيـْبٍ يـدَوِّر غيـر ذاك خـْمَـام

لا بـد يـوم خامـةٍ يذرعونهـا

يحطُّـون منهـا مِيـْزر ولـْثَـام

يـصلّوني صـل النكـايف لقرصـهم

هـم راحليـن وانـا بْنَـوْ مقـام

...إلخ.

وعوداً على قصة حجرف؛ فقد لحظت في السنوات الأخيرة أن بعض الرواة المعاصرين قد حرفوا قصة حجرف وقصيدته

وزادوا أبياتها ليثبتوا أنه هو الذي ذبح سبع ركائب لأضيافه، وقد انتشرت هذه الرواية مع أني أعرف صانعها شخصيًا!

وقد أوردنا هذه القصيدة المنسوبة لشايع الأمسح لنوضح تداخل القصص، حيث يؤكد رواة الذوبة أن جماعة حجرف الذويبي لم يرحلوا عنه، وإنما قال قصيدته السابقة عندما قل ما في يده في إحدى المرات، وذلك أن الرجل في السابق كان يمسي غنيًا ويصبح فقيرًا والعكس تمامًا، والله أعلم بصدق هذه الروايات، أما قصة ذبح راحلته لقومه، فقد حدثت فعلاً عندما كانوا مرتحلين لحضور صرام نخيلهم في وادي الفرع، وقد بات القوم قبل الوصول إلى الوادي، وكان زادهم قد نفد أثناء الرحلة، فذبح ناقته ونادى عليهم بأن يأخذ كل منهم عشاءه منها، فبقي بلا راحلة يرتحل عليها هو وزوجته إذا أصبح، لكنه لما قام لصلاة الفجر وجد عدداً من النوق المجهولة وقد أقبلت إلى خيمته تبحث عن الماء، فأمسك بها، وارتحل عليها مع بقية قومه الذين تعجبوا لهذه المصادفة الطيبة التي تدل على أن الله يخلف على الكريم ويعينه[1].

---

(١) رواية: الشيخ مريبد بن هنود.

٢٨- من أشعار مِجْوَل بن دهَيْم*

الشيخ مِجْوَل بن شَرِي بن دُهَيْم من أعيان بني علي من حرب ومن شيوخهم وفرضسانهم المشهورين، وله ولأسرته شهرة كبيرة، حيث برز منهم شيوخ وفرسان كبار لهم تاريخ حافل بالشجاعة والرئاسة ومكارم الأخلاق التي يتميز بها أبناء جزيرة العرب. وقد توفي هذا الشيخ في حدود سنة ١٣٤٥هـ تقريبًا بعد أن جاوز عمره التسعين عاماً.

أما قصيدته التالية التي لم نعثر منها إلاّ على النزر اليسير فيروى أنه قالها لما طلب أحد الأشخاص منه نجرًا عزيزًا عليه وكان الطلب في غير محله، فقال:

يا نِجْر يا اللي للمشَقّى وَلاَعَة
يا جاذب الطّرْقي على هَجْعَة الناس

يا اللي على الشطّات هذي طباعه
واعطيه حقّه يوم الارياق يبّاس

* نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١٠٧.

لْيا هَظَل رَكْبٍ بْلَيْلٍ مجاعة

يا كِثر ما نَكْسِر على كَفَّك الراس[1]

ويا طول ما صَكّوا عليك الجماعة

لَلْهَيْل دقّاق ولَلْبن حَمّاس

يا حَيْف يا قول بْلَيًّا وقاعَة

لا صار ما تاخذ معانيك بِقْيَاس

وُتَرَى الوَلَعْ من فوق قَبًّا زعاعة

لا حَرَّفوا صم الرّمَك عِقْب مرْوَاس

والضرب من يمْنَى صبِي الشجاعة

والعبد مكتوبٍ مصيره بقرطاس

...إلخ[2].



(١) أي: رأس الذبيحة، حيث كانوا في الزمن السابق أيام المجاعة لا يتركون شيئًا من الذبيحة حيث كانوا يكسرون العظام على قاعدة النجر لاستخراج المخ.

(٢) رواية: الشيخ مريبد بن هنود، حيث أن صاحب القصة والقصيدة يكون خاله.

٢٩- من قصص ابن دهيم أيضاً

ومن قصص الشيخ مجول ابن دهيم أيضًا، أنه كان نازحًا عن قومه في إحدى السنوات ونازلاً في طوارف منطقة القصيم، وكان ذلك في حدود سنة ١٣١٥هـ، ولم يكن معه إلا قلة من جماعته، فأغار عليه بعض شيوخ القبائل وأخذوا إبله ولم يبق عنده إلا الزوامل التي في المراح. وكان هذا هو حال العرب في ذلك الوقت حيث يمسي الرجل غنيًا ويصبح فقيرًا أو يصبح غنيًا ويمسي فقيرًا.

وهكذا فقد وجد الشيخ ابن دهيم نفسه وليس معه إلا فرسه وهي من أجود الخيل في زمانها وتَسمَّى الرَّمْحَا بنت العبية، وكان الوقت صيفًا، فرحل ونزل بلد المذنب ليتدبر أموره إلى أن تعود أحواله كما كانت.

لكن بعض رؤساء القبائل عندما رأوا نزوله في الحضر صاروا يراسلونه لشراء فرسه الأصيلة وهم يظنون أنه سيبيعها بعد أن فقد الإبل وترك البادية(١).

ولمّا أكثروا عليه المحاولات قال القصيدة التالية يبيِّن تمسكه

(١) نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١٠٨.

بفرسه وأنه لن يترك الكّر والفرّ، ويقول – أيضًا – إنه ليس ضعيفًا يستسلم للشدائد، بل إنه يُعِدُّ نفسه وفرسه لأيام مقبلة وكأن شيئًا لم يكن.

وللأسف الشديد فإني لم أحصل من قصيدته إلا على الأبيات التالية:

يا الله يا مِذْرِي الهبايب والانْسَام

تِعُوض في ذَوْدٍ خَذَوْه الطمَاميع

إلى أن يقول:

يا سابقي غاذيك من قوت الاسلام

يوم الرّيَاف يوَدّع الخيل توديع

وُلاَني مْعَرّضْها على كل سَوَّام

ولْيَا نشدْني واحدٍ قِلت ما ابيع

وُلاَني ولَدْ خِبْلٍ فَقَدْ كَيْلَه العام

وُشَفّي ركوب مْلاَوِيَات المصاريع

أبي لْيَا جا مِثْل عَرْجَا بالايَّام

وُكَلّن وُمَلّن من شحاذة وترفيع

أنحَى على الرَّمْحَا كما عنز الاروام

أو بَكْـر شيهـانٍ طَلَقْـهَا بتـربيـع

عليك قَرْمٍ يرْوِي العُود وان حَام

اللـيَّ مَعَ المركـاض يرخِي المصاريع

يقـود رَبْعِـه كـنّهم دقْلَـة الـشام

مركاضـهم يهجـي الـسباع المجاويـع

...إلخ[1].

ويـوم عرجـا[2] الـذي ذكـره في قـصيدته مـن أيـام العـرب المتأخرين وكان سنة ١٣١٣هـ، وهـو بـين بني علي وعتيبة، وقد أورد تفاصيله الشيخ ابن بليهد وغيره.

أما الذي يريده أن يركب هذه الفرس في البيت قبل الأخير فهو ابنه فيحان.

---

(١) رواية: الشيخ مريبد بن هنود.

(٢) المراد: عرجا الواقعة في ديار عتيبة في عالية نجد، وليست عرجا الواقعة بين القصيم والحناكية.

٣٠- من قصص الشجاعة[1]

هذه القصة جَرَتْ على دخَيْن بن رويشد من السّهَيّات من الفردة من حرب. وذلك أنه في إحدى السنوات التي سبقت توحيد هذه البلاد غزا الشيخ ابن حَمَّاد شيخ الفرَدة، وأراد دخين بن رويشد أن يشترك في هذه الغزية، وحيث أنه لا يوجد عنده مطية تصلح للغزو فقد استعار من صهره عبدالله بن خليف بن نومان جملاً حرًا، والجمل الحر هو الأصيل الثمين.

وسار الغزو ولَمَّا وصلوا إلى موضع يقال له حسو علياء في غرب نجد أصيب جمل دخين في إحدى قوائمه، وهذا المرض يسمى عند البادية: المنسَرْقة، يسبب ضَلَعًا شديدًا للدابة ويعيقها عن المشي.

وهنا اضطر دخين إلى التخلف عن القوم والعودة إلى أهله، فرجع يُدَرِّج جمله تدريجًا، ولمَّا وصل إلى مورد ماء يقال له جُبَيْرة يقع جنوب جبل طمِيَّة المشهور، وإذا بعدد من الفرسان المعادين يغيرون عليه طمعًا في جمله وبندقيته قبل كل شيء ثم أخْذ أخباره بعد ذلك، معتقدين أنهم وجدوا كسبًا سهلاً ولقمة سائغة. لكنّ دخين اختطف بندقية من ظهر الجمل وجهزها بسرعة البرق

---

(١)نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١١٢.

واستقبلهم بالرصاص، فأصاب ثلاثاً من خيلهم وأصاب أحدهم إصابة غير قاتلة، فانحرف بقية الفرسان وابتعدوا عنه وتركوه خوفًا على ما بقي من خيلهم. أما هو فواصل مسيره إلى أهله إلى أن وصل سالمًا بفضل الله ثم بفضل شجاعته ورباطة جأشه. وفي ذلك نظم القصيدة التالية يوضح ما جرى له وأنه استبسل دون بندقيته وجمل نسيبه حتى لا يلام على عدم المحافظة على العارية، وكأنه يقول: لو كان الجمل لي لهان الأمر.

يقول دخين بن رويشد:

يومٍ جَرَى لي في جنوب المذاريب

خَلى العوارض واسْوَد الراس شَيْبِ

شرقٍ من الشمطا عن العِدْ تغريب

غربي جْبَيْرَة في مجاذ الجذيب[1]

أعَتّب الضالع على الرجل تعتيب

وُعَليّ من حامي السمايم لهيبِ

خَلا قطوعي لا منادي وَلا مْجيب

في سهلةٍ والشوف مِعْها عجيب

(١) مجاذ الجذيب: أي نهاية السلسلة الجبلية.

أوحيت حِس غيّب العقل تغييب

واريت مع ما اوحيت شَيٍ امْرِيب[1]

لحقوا على قِبرٍ جيـادٍ جناديب

وْلا من طماعة، بندقي والهلِيبر[2]

وُلدّيْت للي قد مضى له تجاريب

دون القعود، وُعن مَلامة نسيبي

وثارت ثلاثٍ وادْحَجَن الاصاويب

وُمِنهَا جديد العمر يحضر عطيبر[3]

وُتقلبنْ مثل الوحوش المراعيب

يَبْرى لهن دَمْ، وْعَلَيْهِن صويبي

وُطاح العَشَا للمرقبات المحاديب

والذيب في صوته قنَبْ له لذِيبر

...إلخ[4].

---

(١) أوحيت: أي سمعت. أريت: أي رأيت.

(٢) الهليب: المقصود به البعير الكبير في السن، أو المنهك، ويعني البعير الذي معه، لأنه مصاب.

(٣) يَحْضِر: أي يتألم. وهو يشير إلى الشاب الذي أصيب.

(٤) رواية: الشاعر رغيّان بن رويشد الفريدي، من سكان النقرة.

٣١- الفأل عند البادية[١]

تتلخص القصة التالية في أن رجلاً اسمه شامان المويعزي من بني عمرو من حرب شارك في إحدى غارات البادية التي كانوا يشنونها للكسب من الأعداء، وكانت هذه الغارة ويسمونها غزوة برئاسة الفارس نافل بن غِمّيض من شيوخ البيضان، وشجاع بن عوّاد الذويبي من مشاهير أسرة الذوبة أمراء بني عمرو، ومطلق السكران من مشاهير ولد محمد من بني سالم.

وأغار هؤلاء القوم وأخذوا قطيعًا من الإبل، وعادوا بها باتجاه المدينة المنورة حيث نقطة انطلاقهم، وقبل أن يصلوا إلى المدينة أناخوا لاقتسام الغنيمة، فكان نصيب شامان المويعزي خمسًا من الإبل بالإضافة إلى مطية أصيلة.

ولما وصل إلى المدينة وإذا بأحد أعيان جماعته يقابله وهو الشيخ ابن كَمِي فأعطاه واحدة، وإذا بابن عمٍّ له فأعطاه أخرى، وإذا بثالث ورابع وخامس، ولم يصل إلى بيته إلاّ وهو قد وزع كل ما كسبه في هذه الغزوة باستثناء الذلول الأصيلة فقد أبقاها

(١) نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١١٥.

ليركبها حيث لا يجد ما يركبه.

وبعد ذلك قابله الشاعر سودان الغَيْدَاني وهو من بني عمرو فقال له: "الحَذية يا شامان!".

فرد عليه شامان: "والله ما بقي معي إلاّ هذه الذلول التي تحتي، فإذا شئت خذها!".

فقال سودان: "لن آخذ ذلولك فأنت أحقّ بها مني".

فقال شامان: "لك عَليَّ أن أعوضك عنها بإذن الله وأنا أخو شَمَّا!".

وهنا يتجلّى كرم أبناء البادية فهم يخاطرون بحياتهم من أجل هذا الكسب إذا جاز التعبير، ثم يعطون ما كسبوه لأول سائل يقابلهم.

أما الشاعر سودان الغَيْداني فإنه لّما اجتمع القوم في المساء كعادتهم للسَّمر والقهوة تناول ربابته وشدا بالأبيات التالية:

هَيَّضْ عَلَيَّه يوم شِفْت المواضيح

الهجن سَجْدًا والنشامى سِدَارَى[1]

---

(١) المواضيح: الإبل الوضح، ومفردها: وضحاء. سجدا: متعبة. سدَارى: أي منهكين.



قلْت: الحَذِيّة ياالوجيه المفاليح

واخْطَتْ كما تَخْطِي سهوم النصارَى[1]

شامان زَيْن اللي عليها اللواليح

مَرْكِيَهنْ وِان طال هوش الغَيَارا[2]

قال: الذلول، وُقلْت: لك هَبَة الريح

هذي ذلولك يا منَجّى الثّبَارا

عسى العَوَض عنها نِيَاقٍ مصاليح

قطعان بَدْوٍ يَرْتَعِنْ الزبَارا

...إلخ.

وبعد أن مكث القوم في المدينة عدة أيام نادى رؤساؤهم للغزو، فأسرع شامان يجهّز راحلته للغزو فهو سَبّار القوم الذي يتقدمهم ليكتشف الوضع ويستطلع الأخبار.

واتجه الغزاة شرقًا هذه، المرَّة ولما وصلوا موضعًا يسمى الميسريَّة في تلك الجهات وإذا هم على إبل كثيرة، فصبُّوا الغارة

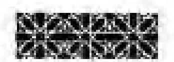
---

(١) الحذية: من أحذى أي أهدى وأعطى، يقول واحدهم للآخر: الحذيَّة، ويفهم منها صيغة فعل الأمر أي أعطني.

(٢) المركِي: هو ما يتخذ للتترس في القتال، ويستعملون الإبل عادة لهذا الغرض حيث ينيخونها ويتقون بها الرصاص.

عليها صباحًا، وتمكنوا من أخذها واستاقوها باتجاه الغرب، ولـمَّا أقبلوا على المدينة أناخوا للقسمة، فتقدم شامان إلى رؤساء الغزو، وقال: "كما تعلمون فإن هذا الرزق هو ما فَاوَلَنا به الشاعر سودان الغيداني، فأنا قاصدكم أن تجعلوا له كذا وكذا قبل أن تقسموا". فردوا بصوت واحد: "نعم، نعم"(١).

وهكذا فقد كانوا يؤمنون كثيرًا بالفأل، ويتأثرون بالشعر، ويهتمُّون به غاية الاهتمام.



(١) رواية: سعد بن نفاع بن مغدف المويعزي.

٣٢- من شعر الرثاء*

كان رجلٌ من البدارين من بني عمرو من حرب، واسمه عليّان بن عايد من البراكية يعيش سعيدًا بحماية ابنيه ورعايتهما، لكن الدهر لا يؤمن جانبه، ففي أحد الأيام أغار قوم على إبله وهَبَّ ابناه لحمايتها، إلاَّ أن المنية كانت لهما بالمرصاد فقتلا دفعة واحدة. وانزعج الأب لهذا الحدث لكنه سلَّم بقضاء الله وقدره، وبَثْ حزنه إلى خالقه مدركًا أن الموت نهاية كل حي وأنه قد أخذ قبلهم رجالاً أعظم منهم، وَصَوَّر هذه المعاني بقصيدة رثائية معبِّرة، إلاَّ أنني لم أعثر منها إلا على الأبيات التالية:

وَاطَيْ قلبي يا مَلاَ طَيْ قرطاس

وِالاّ صِمِيلٍ ما هَوَتْه البَلايل

يا عَيْن لا تبكين للهَمْ والياس

اللّي جَرَى لك جاريٍ للَحَمايل

الموت ما خَلّى جَزَا دايخ الراس

ولْد الشّطَير اللي يضْد الدبايل

* نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١١٨.

مع مَسْعَدٍ يَوْم ان الارياق يبـَّاس

يـفْتَكْ ذود مْنَـسّعَات الـجَدَايــل

دِلِيلــةٍ للجـيش قطّـاع الارمـاس

دليلـــةٍ مـــا كِـــنْ غـيره دلايـــل

له مْرتعٍ ما بين الابْرق والاطعـاس

يامــا حَمَاهــا مــن جمــوعْ وُقبايــل

...إلخ[1].

ودايخ الراس هو الشيخ جزا بن سعد الشطير من أشهر شيوخ الشعب من بني عمرو، أما مسعد فهو الشيخ مسعد بن راجح بن محمد بن زايد بن عبدالله البدراني العمري الحربي.

---

(١) رواية: الشيخ صنهات بن بدر الشطير، والشيخ نايف بن راجح.

٣٣- شاعر من الفردة يمدح الذويبي*

هذه الأبيات من قصيدة طويلة قالها الشاعر ضيف الله بن مطرب الفرَيْد المتوفى سنة ١٣٥٥هـ تقريبًا، وهو من الفردة من حرب يمدح الشيخ هندي بن ناهس الذويبي وأخاه الشيخ فيحان الذويبي المتوفى في شهر شوال سنة ١٣٧٤هـ:

١- بدَّيت ذكر الله على ذكر النشيد

منشي الغيوم وعازلٍ ربّانها

٢- يا راكبٍ حَمْرا تشوّد بالفديد

مزعاج تجزَع عند مَس بْطَانها

٣- ركّابها قَرْم العَيَانِ اللي وليد

يَقْرًا الحروف وعارفٍ عنوانها

٤- ملْفَاك هندي شوق من تزهى الجديد

من ساس خيلٍ ما يكَمْ خْصانها

٥- ونُعْم بْذوِي فاجر مْتَرّخة الضديد

ما اسبهّم والله عليم بشانها

* نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١٢٣.

٦- فيحان حرٍ من تحنس به يصيد

هــدَّة حَــرَارٍ صَفَّفــت جنحانهــا

٧- من فوْد مخلابه يفيد ويستفيد

مـا هـو خـْرَاصٍ ميرشوف اعيانهـا

٨- ويْكَسِّب الادنى وعينه للبعيد

ويْفــرّح اللــي يحتــري بارْكانهــا

٩- عَقبٍ لابوه امْعَقبه مثله وليد

إن كـان صفـر الخيل جـا ميدانهـا

١٠- الله يـسدّد بـه لنـا ايَّـامٍ بعيـد

عـسى القـدر يبطـي عنـه باحيانهـا

والقصيدة أطول من ذلك[1].

---

(١) رواها لي ندا بن فرحان البحيشي الفريدي سنة ١٤١٠هـ، رحمه الله.

٣٤- من قصص العناية بالخوي*



حدثت هذه القصة سنة ١٣٦٢هـ، وتسمى تلك السنة عند أهل نجد سنة القطيف، وذلك لأن كثيرًا من بادية نجد انحدروا للقطيف للاكتيال، وكان من ذلك أن قومًا من البدارين من حرب حَدَروا من نجد يريدون الاكتيال من الأحساء والقطيف، وكان من أعيانهم الشيخ جروان بن نبَا البدراني (١٣٠٢-١٣٩١هـ)، ومعهم سمَيْر بن طَفِيح، وعلي بن حصيِّن، ومناحي بن سرور، وعوّاض بن سرور، كما كان معهم والدي موسى بن فايز، رحم الله الجميع.

ولّما وصلوا الأحساء لم يجدوا كيلا، فقصدوا القطيف، وكان موبوءًا في تلك السنة، فأصيبوا بالوباء ومات ثلاثة وهم علي بن حصين ومناحي وعواض، هلكوا واحدًا بعد الآخر، ولم يدّخر رفاقهم وُسْعًا بالعناية بهم إلى أن حانت أقدارهم ودفنوهم رغم أنَّ حُمَّى القطيف لم تستثنِ أحدًا منهم.

---

* نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١٢٥.

ولـمّا منّ الله بالشفاء على الباقين وعادوا إلى أهلهم تعَجَّل بعض ذوي المتوفين في لومهم قبل أن يعرف حقيقة الأمر، مع أنهم لم يقصروا في خدمة رفاقهم، فقال والدي موسى بن فايز الأبيات التالية مدافعًا عن رفاقه وخاصّة الشيخ جروان لأنه كبيرهم وموضحًا حقيقة ما حدث، والأبيات أطول من هذا لكننا لم نجد منها إلاّ ما يلي:

جـرْوَان هو راعي المعـروف
وهَـرْج القفـا لا تقـولـونـه

خَوِيّنـا مـا شكَـى الماحـوف
والكـل منّـا ثنَـى دونـه

من مات صلوا عليه صفوف
مـا ينّقِـل لـو يـشيلونه

عليـه صـم الحـصا مرصـوف
وحقّـه مـن الخـام يكسونه

...إلخ[1].

---

(١) رواية: عبَيْد بن جروان البدراني، والوالد موسى بن فايز، رحم الله الجميع.

ومما قال الوالد عندما كانوا في القطيف للاكتيال وطال انتظارهم فقال يتشوق إلى جماعته في نجد ويشكو من طول الانتظار، ويذكر تباطؤ ابن منصور المسؤول عن تنظيم الاكتيال، ويسند على ابن عمه مرزوق بن بدَيِّع البدراني:

عَدَّيت في روس الابراحي	وِادْمِي رِجْلي يشِلّنّي
ولو صِحْت للرِّحْل يا امناحي[1]	الرِّحْل قفَّن وخلَّني
القلب ما هو بمرتاحي	من عِيشةٍ كُود بالمنّي
والزمل يا مسْندِي راحي	لو صحت للزمل ما جَنّي
الله على كُوْر مِشناحي	من فوق هِجْنٍ توَامَنّي
يمشن مع وقت الاصباحي	لزين المعاليق يَزهَنّي
من باب عينين[2] مِسراحي	والعصر الأسياح مَرَّنّي
وان نوَّخن وقت الامراحي	يمْسِن على مْحَرِّق البنّي
مرزوق كَسَّاب الأمداحي	مرزوق ما يخلف الظني
يجذبك نجره ليا صاحي	وصفرٍ على النار يجذني

(١) هو: مناحي بن سرور من القراسنة من البدارين. والرُّحْل: جمع راحلة، أي الرواحل.

(٢) باب عينين: هو الجبيل حالياً.

وان طب في فِرْق مصلاحي ما هاب لو كثر الفنّ[1]

وقال الوالد أيضاً في المناسبة نفسها عندما طال انتظارهم في الجبيل مع أنهم لم يعتادوا على رطوبة الساحل، إضافة إلى الوباء الذي أصاب المنطقة في تلك السنة، ومات فيه عدد من رفقائهم، ويشير فيها إلى تذمره من تباطؤ ابن منصور ورجاله المسؤولين عن تنظيم الاكتيال:

عشرين ليلة تقل مصخور والكل ما يدرك الجابة
بس انتنظّر لابن منصور وليا طلع نوط باطلابة[2]
يا راكب اللي يكب الكُور حرٍ وتوّه شمخ نابه
نبي نخلّي كثير الجَور ورزق الفتى عند جَلّابه
والعبد في دبرته مامور مْدَبَّرٍ والله أولى به
صلاة ربي على المذكور عدة حصى نجد و ترابه

وبالمناسبة فإن الوالد أحسن الله ختامه، من مواليد المدينة المنورة سنة ١٣٤٢هـ، أي أن عمره كان عشرين عاماً لما انحدر مع

(١) الفِـرْق: هو قطيع الغنم. الفنّ: هو العملة النقدية المتداولة.

(٢) النّـوْط: الدفعة من المداد والمون المطلوبة. وطلاَبة: أي مطالبة ومشاجرة.

تلك الحملة إلى الأحساء والقطيف، ويخبرنا الوالد أنه قطع أكثر تلك المسافة ماشياً لم يركب إلاَّ في حالات نادرة جداً، لعدم وجود رواحل الركوب، وخاصة في العودة حيث هزلت جمالهم، ومات بعضها، والذي سلم منها لا يكاد ينوء بحمله.

ومما قال الوالد يسند على ابن عمه علي بن الفلَيْح، ويتوجد على الشيخ جروان بن نبا وجماعته ويثني عليه بالكرم وبحسن الجيرة، بعد أن عرف من علي أنهم يطرون الشديد من مكانهم إلى جهات الصلبية الواقعة بين القصيم وحائل، فقال:

أقفى علي من فوق حَمْرا مْحَلاَّة

وِان رَوَّحَت تشدَى جفيل الفرِيدي

سَلِّم على اللي تدفق السمن يمناه

وان جيت رَبْعٍ منتوِين الشديدي

أبو جْرَي[1] اللي هل الهجن تنصاه

يفرح بهم وِان جَوه فتخان الايدي

لـه دَلـةٍ دايـم علـى النـار مِرْكـاة

مع حِسْ نجرٍ يجذب اللي بعيدي

---

(١) أبو جْرَي: هو جروان بن نبا البدراني.

لا قلّـل الطبخـة ، ولا زوَّد بْمَـاه

يمـشي بحمـستها علـى مـا يريـدي

ولا طَوَّل بصوته على الجار يشناه

زيـنٍ نبـاه ، وكـل يـوم جديـدي

وبعد أن نزلوا في مكانهم ذلك وأمضوا فيه بضعة أشهر، قال يتوجد عليهم، ويثني على جروان رحمه الله:

لي بكرة[(١)] زان ممشاها	تِخضع كما يخضع الذيبي
تبَيّنت عَنْز[(٢)] واقصاها	وها كالهضاب المراقيبي
من يفعل الطيب ملفاها	من ناطحين المواجيبي
له دلة ما نقص ماها	ولا حَسَّب الهَيْل تحسيبي[(٣)]

---

(١) يفيد الراوي علي بن الفليح أن بكرة الوالد المذكورة هنا هي ناقته المسماة العمَيشاء، علماً أن ناقته التي اشتهر بها هي سحَيْماء، حتى إذا قيل: راعي سحيماء، عـرف أن المراد موسى بن فايز البدراني.

(٢) هناك عدة مواضع بهذا الاسم في نجد، لكن عنـز المذكورة هنا هي عنـز الترمس، شمالي القصيم.

(٣) رواية الوالد، يوم الثلاثاء ٢١/٥/١٤٢٠هـ.

٣٥- قصيدة محمد آل ونيّان[1]

أورد منديل الفهيد بعض أبيات هذه القصيدة، ونقلها عنه بعض مؤلفي الشعر الشعبي دون ذكر أي معلومات عن الشاعر أو المناسبة، ولهذا فقد رأيت إيراد القصيدة بشكل أوفى.

محمد بن ونيّان من بني علي من حرب. قدم الشاعر من بلدتهم العوَيند إلى البرود في حدود ١٢٧٠هـ، وعاش فيها حوالي ٣٥ عامًا، ثم انتقل إلى فيضة السر وعمل في آخر عمره إمامًا للجامع فيها، إلى أن مات في حدود سنة ١٣٣٠هـ تقريبًا بعد أن عمّر طويلاً. ولم أتأكد من اسم والده لكن الراجح أنه عبدالله كما يدلّ على ذلك بعض قصائده التي ستمر معنا.

وأسرة آل ونيّان شأنها شأن أسرة آل ناهض من الأسر التي وصلت إلى نجد واستقرت فيه في وقت مبكر، حيث عاصر جدهم ونيّان بن نصر زعماء الدولة السعودية الأولى وكان له

---

(١) سبق نشر هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١٢٧، نقلاً عن كتاب: من آدابنا الشعبية، منديل الفهيد، ج١، ص٢٢٢، وكتاب: القهوة العربية وما قيل فيها من الشعر، عبدالرحمن بن زيد السويداء، ط١، (١٤١٠هـ).

مكانة مرموقة عندهم، فأقطعوه هو وأحفاده قرية العويند الواقعة بين البَرَّة وضرماء الواقعتين غرب مدينة الرياض[1].

وقد عاش الشاعر محمد بن ونيَّان في بلدتهم العوَيند، لكنه انتقل إلى البرود بعد وفاة والده، واستقر بها ولا يزال أحفاده هناك.

أما مناسبة القصيدة فإن محمد بن ونيان كان رجلاً كريمًا لكن أموره المادية كانت تخذله أحيانًا ولا تأتي على ما يريد، وكان له جار قد حَصَل على بعض المال فاشترى دلالاً فاخرة وتظاهر بالكرم تطَبُّعاً لا طبعاً. وفي أحد الأيام حلّ على محمد ضيف كالعادة وعمل له من القهوة الموجودة عنده حسب ما تيسَّر بحضور جاره الغني الذي تصرَّف تصرفًا غير لائق، وكأنه يريد إحراجه أمام الضيف والتباهي بأنه هو الكريم الذي يملك القهوة الفاخرة، فسأل محمد بن ونيَّان قائلاً: هل قهوتك يمانية؟ فقال: لا، إنها شامية. وكان الرجال في السابق يحملون القهوة في أردان ثيابهم، فأمر محمدًا أن يكفأ الدلة ويعيد عمل القهوة بعد أن ناوله حفنة من القهة الفاخرة. ولم يكن أمام الأخير إلا أن يمتثل وهو في

(١) انظر معجم اليمامة، عبدالله بن خميس، رسم العويند.

غاية الإحراج أمام ضيفه، لكنه يعرف طبع هذا الجار الذي أراد أن يحرجه ويظهر كرمه المتصنع أمام هذا الضيف الغريب.

وفي المساء لما هجع الضيف لم ينم محمد آل ونيَّان بل ظل ساهرًا على ناره وهو يتذكر هذا الموقف، ويفكر في دنياه التي تقبل أحيانًا وتدبر أحيانًا أخرى، وتناول ربابته وارتجل القصيدة المعبرة التالية التي تصور حالته مع جاره وما حدث له في ذلك اليوم:

يـا الله يـا اللـي سايلـه مـا يملّـه

يا منبت العشب الخضر بالرشَاشـي

تفـرج لـمن كنّـه علـى صَلْو مَلَّـة

متحيّـرٍ ضـاقت عليـه الـمماشـي

لا ضـاق صـدري جبت نجـرٍ ودلّـة

وسَوَّيت مـا يطفـي لهيـبٍ بجاشـي

وان جا المسيِّر عَمْس عندي دوىً له

فنجال مـا سَوَّاه خطـو الخدَاشـي[1]

---

(١) المسيِّر: هو الزائر سواء كان جارًا أو ضيفًا أو قريبًا. عَمْس: العَمَس هـو التعـب، والمراد أن القادم يكون متعبًا في حاجة إلى الراحة والترويح. والشطر الثاني من هذا البيت فيه دلالة على شدة اعتنائهم بالقهوة فلا يعدّها إلا حاذق في إعدادها.

بِكْـرٍ علـى بكْـرٍ لْيَـا جيـت ازلّـه
يشبه خضاب مرودعات النقاشي[1]

وان كثر هتّـاش الخَـلاَ مـا نـملّــه
حَقّــه علينــا فَــزَّةٍ وانبهاشـــي[2]

يَوْم ان وِلْـد الـلاّش يـا قـف بْظِلّـه
كنّــه علــى درب المراجـل يهاشـي

ومْعَبَّـــرينٍ كـــل وَقـــتٍ بْحلّـــه
نصبر علـى مـا كـاد والـرزق ماشي

حِـينٍ هـشيم، وُحِـين نُوقـد بْجَلّـة
وُمَــــر نبهُرْهـــا وُمَـــرٌ بَلاَشــــي

ونـوبٍ بيـسر ونجْمـع الكيـف كلـه
ونـوبٍ علـى الـشامية امّ الغـشَاشي

تِعْبَـا لـضيف عـاني، مـن محلـه
نـمشي قـصاد ولا نحـب انتفاشـي

---

(١) معنى الشطر الأول: أن القهوة تكون جديدة في كل مرة، فلا يقدمون للضيف القهوة المعمولة سابقًا كما هو الحال الآن مع استعمال الحافظات الحديثة أو ما يسمى الزرمزميات.

(٢) هتّاش الخلا: كناية عن الضيف وابن السبيل.

والقصيدة أطول من هذا.

ومعنى البيت الأخير: أننا نسير حسب ظروفنا وأحوالنا، ولا نحب أن نتظاهر بأكبر من حجمنا، وهذا معنى قوله: ولا نحب انتفاشي.



٣٦- وله أيضاً[(١)]

تتميز قصائد الشاعر محمد آل ونيَّان بالحكم الرائعة، والتعبير الصادق عما ما كان يعانيه الرجال الكرماء في العصور السابقة، حيث قلة ذات اليد وشظف العيش مع طبيعة الحياة والتقاليد الاجتماعية التي تحتم على كرام النفوس البذل بسخاء، فلا يكون أمامهم إلاّ الصبر على ذلك والشكوى إلى الله دوما فهو صاحب الفرج وضامن رزق العباد. كما أنه يذم أهل المال البخلاء، ويقول إن الفناء ينتظرهم فلماذا كل هذا الحرص على جمع المال وإمساكه.

أما القصيدة فمنها:

يـا الله يـا اللـي كـل حَـيٍ بْرَجْـوَاه
يـا خَيـّرٍ مـا ياخـذه نـومْ وِنـعَاس

تفـرج لقلـبٍ ضـايعات شـكاياه
متحاشـكه مـا بـين هَـمٍ وهوجـاس

اليـوم زل وُرَاح شَـرَّه وحِـسْنَاه
وبـاكر تعـابيره علـى والـي النـاس

---

(١) نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١٣١، برواية: عبدالرحمن بن محمد بن ونيان، وعبدالله بن إبراهيم آل أبو نيَّان.

كـم واحـدٍ بـِمْعَالج العِـسْر تاطـاه

لـو كـان هِمَّاتـه تحَـدَّر مـن الـراس

إلى بغـى العليـا تحـدّه علـى اقـصاه

تزويــه بقيـادٍ.. وتثنيــه بـركــاس

والمـال جـا بيـدين حـسَّابة اشـياه

اللي على جمعه حريصين واخساس

الـمال ما سـرَّ العبيـدي ولا احياه

تفكروا يا اللي على الـرزق يـبـَّاس

العمر لـو طـاول تـرى المـوت ملفاه

والاجل يَطْوِنـّه سـريعات الانفـاس

كم واحدٍ تندِسْ مـن الجـود يمنـاه

يخـاف مـن دكّـة مقاريـد وانجـاس

يخــاف خِبْــلٍ ضـايعاتٍ حكايــاه

مـا فيـه لا شـيمة.. ولا فيـه نومـاس

...إلخ[1].

---

(١) رواية: عبدالرحمن بن محمد بن ونيَّان وهو ابن الشاعر رحمهما الله، كما أورد منديل الفهيد بعض أبياتها في الجزء الأول من كتابه، ص٢٢٢.

٣٧- ولـه أيضاً[١]

في إحدى المرات أجدبت مرابع أسرة الشاعر محمد آل ونيَّان، فرحل قومه يطلبون المراعي الصالحة لمواشيهم وحلالهم وقت الربيع، لكن الشاعر اضطر للبقاء في البلدة ليعتني بنخله وزرعه، وعندما جلس في إحدى الليالي على قهوته أحس بالوحدة، وتذكر جماعته فقال القصيدة التالية، وقد تكون أطول من ذلك:

كـل نَجَـعْ يَـم الحَيَـا يَـا ابْـن عبَّـاد
يــبي يــدَوِّر صــالحٍ في حلالــه
والاَّ انت لو كـلٍ نَجَـعْ فانـت قعَّـاد
مـا تنحـره لـو كـل حَـيٍ عَنَـى لـه
يـا الله طلبتـك رايـحٍ يـوم ينقـاد
يرِيْـف بالـمِـسْنِي تـزَبّـِـرّ خيالـه
امطر وهَلْ وسيَّلَ الحزْم والـواد
مَـلاَ الـدحَال وروبـة الخَـد شـالـه

(١) نشرت هذه القصة في كتابنا: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، ج٢، ص١٣١، عن المصدر نفسه.

تِخلِف ظنون اللي نووا كسرة الزاد

غِبْر الوجيه اللي خذوها حْبَالة[1]

لا شاف غيْمٍ طقه جنون واجلاد

ومع الصحو يَدْلَه وينساح باله

ومعنى البيتين الأخرين أن بعض التجار الذين همهم احتكار الزاد يستاؤون من رؤية السحاب الممطر، لأن المطر يؤدي إلى زيادة الخير والرخاء ورخص الأسعار بإذن الله.



(١) حَبَل للصيد: أي أوقعه في حبال المصيدة. وحبالة: أي احتيال.

٣٨- قصة ضيف الله الشامي

ضيف الله الشامي من مزينة من بني سالم من حرب، اشتهر ببراعته في الرماية إضافة إلى شجاعته ورجولته، له قصص وأشعار نادرة، ولكن ضاع أكثرها للأسف لقلة الاهتمام بتدوين أخباره، وقد أدرك ضيف الله الشامي بداية ظهور الملك عبدالعزيز فانضم إلى الإخوان، وشارك في كثير من معارك توحيد البلاد إلى أن قتل في غزوة الإخوان على الأردن، المسماة يوم الحرث سنة ١٣٤٢هـ.

وقصته التالية أوردها الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري في كتابه نقلاً عن منديل الفهيد حيث قال:

فهذا الرجل الشجاع لم يكن من عادته الاستسلام عند مقابلة الأعداء مهما كانت قوتهم، لكن حدث في إحدى المواجهات أن نفدت ذخيرته من الرصاص بعد أن أوشك على التغلب على أعدائه، فلوَّح بيده بما يفيد قبوله للمنع. والمنع سَلْم معروف بين رجال البادية يلجأ إليه الطرف المهزوم عندما يتيقن

من هزيمته. وقد قبل أعداؤه المنع دون أن يعلموا أن رصاصة قد نفد وأن سلاحه لم يعد فعالاً، ولو علموا ذلك لما قبلوا بالمنع ولقتلوه شر قتلة. وقد تمثل بهذه الأبيات التي يبدو منها أنه قد استسلم على أن يقدم لهم بندقيته. يقول:

بندقي ما لك على الشامي ملامة

يوم انا وايّاك بوجيه الدبايل

بندقي ما دام ما فرَّغ حزامه

ذبحها بالكَوْن عزمات الأصايل

اعذريني يوم بعتك بالسلامة

يوم وِلْد اللاش بعيونه يخايل[1]

---

(١) ديوان الشعر العامي بلغة أهل نجد، تأليف: أبو عبدالرحمن الظاهري، الطبعة الأولى، ج٣، ص٥٩، نقلاً عن منديل الفهيد: من آدابنا الشعبية ٤/١٤٦.

٣٩- الموت ما خلّى شبيب وطامي*

ومن قصص ضيف الله الشامي أيضًا أنه عندما تزوج وأخذ زوجته عائدًا بها إلى أهله على راحلتهما ليس معهما أحد، وورد على أحد الموارد ونزل ليستخرج الماء من البئر، وإذا بزوجته تَلْمَح بعض الأعداء مقْبلين عليهما فصاحت عليه ليخرج من البئر. وكان قطاع الطرق في السابق يترصدون للعابرين على موارد المياه، ويستغلون نزول المسافر بالبئر وانشغاله بإخراج الماء ويباغتونه على تلك الحال.

المهم أن الشامي خرج بسرعة قبل أن يقترب المهاجمون وأخذ بندقيته فصوبها باتجاه الأول فأرداه قتيلاً ثم الثاني، فتراجع بقية رفاقهم ولاذوا بالفرار، وبعد أن احتمى نفسه وأهله وشرب من الماء، وركب راحلته مواصلاً طريقه، حدَا بالأبيات التالية:

قال المزَيْني والمزيني شامي

يا ناشدٍ عنّي فَأنا ضيف الله

---

* رواية: الشيخ درع بن سالم المزيني وغيره.

عَلَـيْ لاَرْمِـي كـل مـا بـحْزَامــي

واركض عليهم والـسَّعَد عنـد الله

وِان مِـتْ ماتــوا رِبْعَـتي قـدَّامي

وماتــوا ربُــوع يحْتِمُــون الظَّلَّــة

المـوت مـا خلَّـى شـبيب وُطـامي

وُلاَ كَـبْ حتـى محمـد العبـدالله[1]

إنْ مـا احْتَمَيْنـا بنـت ابـن عزَّامـي

يحـرَمْ عَلَـيْ مْـصَاحَبه والخِلَّـة[2]

وشَبيب وطامي الذيْن ذكرهما هما شبيب بن فهد بن نَحيت وطامي بن نحيت أيضًا وهما من الشيوخ المشهورين في أسرة آل نحيت أمراء مزينة من بني سالم من حرب ، والمذكوران عاشا في القرن الثالث عشر الهجري. أما محمد العبدالله فهو الأمير محمد بن عبدالله الرشيد الذي حكم أطول مدة في تاريخ الإمارة الرشيدية ، لأنه حكم من سنة ١٢٨٩ – ١٣١٥هـ.

---

(١) خلَّى: أي ترك. كبّْ: أي ترك أيضًا.

(٢) بنت ابن عزَّام هي زوجته.

٤٠- يغير على أعدائه ويكون في حمايتهم

روى لي هذه القصة فيصل بن معَدِّي من السياحين من عتيبة، قال: سمعت من جدي مبارك (مبارك بن امْهَدِي توفي سنة ١٣٦٠هـ) القصة التالية، وهذه القصة حدثت سنة ١٣٣٠هـ:

قال: اتفقت أنا وواحد من جماعتي على أن نخنشل على حرب، فخرجنا قاصدين ديار جماعة من بني عمرو من حرب، وبعد أن اقترىنا من منازلهم انتظرنا إلى حلول الظلام، وكان البوادي يجعلون الإبل والأغنام في الليل بين بيوت الشعر التي تُصَف على شكل دائرة وذلك لزيادة الاحتياط. فزحفنا على بطوننا بعد أن هجع القوم حتى وصلنا إلى الإبل، وكان الاتفاق أن يبقى صاحبي في مكان بين البيوت والإبل حتى ينذرني أو يحميني من مباغتة القوم لي إن شعروا بي. وتسللت أنا إلى الإبل لأختار منها ما نستطيع أخذه، أبحث عن الركائب الذلول لأنها تكون من أطوع الإبل ولا تحدث رغاء في مثل هذه الظروف!

ويضيف: وفي أثناء دخولي وسط الإبل لمحت كأن شخصًا واقفًا في طرف أحد البيوت يحرس الإبل لكنني مضيت متسللاً

وبدأت في إطلاق الإبل ولم أشعر إلاَّ والرجال قد أحاطوا بي، فانهالت العصي والركلات على كل جانب من جسمي حتى اقتربت من الموت لكنني لم أغب عن الوعي. وكانت العلاقات حينئذ متوترة جدًا بين عتيبة وحرب، وذلك أن عتيبة أمسكوا سبعة من غزاة حرب فقتلوهم جميعًا، ولذلك فقد أدركت أن حربًا سيقتلوني مباشرة لو عرفوا هويتي، ولذلك فإنهم أول ما سألوني عن اسمي وقبيلتي قلت لهم: أنني لست من عتيبة. لكن شابًا منهم كان شاكًا في أمري، وكانت بندقيته من نوع الفتيل، فكان كلما أشعلها وهَمَّ بتصويبها نحوي ابتدره القوم ومنعوه من ذلك، فطال جدالهم ودمائي تسيل من رأسي ومن جسمي وأنا لا أستطيع النهوض. وبعد أن طال جدالهم أقبل شيخ كبير كان جالسًا يصطلي على النار منذ بداية هجومهم عليَّ. فانتهرهم هذا الشيخ وقال: طال ليلكم وأنتم تتخاصمون على هذا الرَّجَّال! والله لو كنتم قتلتموه من البداية لكانت كلابكم قد شبعت من لحمه ونامت. فالتفت إليه الشاب صاحب البندقية وقال: أرى أنك تريد منعه؟

يقول الراوي: فوثب الشيخ وحنى جسمه فوقي، وقال:

"نعم، حميته كان الله حماه!". لكن الشاب لكز الشيخ بعقب البندقية وأبعده. فغضب الشيخ وقال للشاب: يا فلان إني تاركه فإن كنت قاتله فافعل! وكان بهذه العبارة يتحدى الشاب. فلحقه الشاب وتوسل إليه أن لا يحول بينه وبيني. لكن الشيخ لم يلتفت إلى توسلات الشاب الطائش. ونادى الشيخ من يحملني ووضعني في بيته بالقرب من النار، ومسحوا دمائي وضمدوني. أما رفيقي الذي تركته ليحميني فإنه لما أدرك أننا وقعنا في أيدي القوم فإنه تسلل إلى أقرب البيوت إليه ولجأ فيه. وكان من يدخل البيت لا يُمَسّ بسوء. وبعد أن ضمدوني وسقوني ماء، أخبرتهم بصاحبي وكان في مخبئه فنادوا عليه بالأمان، فخرج وجاء إليَّ، فهمست في أذنه أن لا يخبرهم بأننا من عتيبة. وجلسنا في ضيافة ذلك الشيخ ثلاثة أيام ثم سمحوا لنا بالمغادرة بعد أن تحسنت حالتي.

يقول الراوي الشيخ فيصل: والله يا بني لقد رأيت أثر تلك الضربات والكدمات في جمجمته ولو صُبَّ عليها الماء لأمسكته من عمقها!





٤١ - معجب الغيداني يمدح البيضان

معجب الغيداني (الأول) كان رجلاً كريمًا وشجاعًا، وعاش مدة من الزمن مع أخواله الدياحين من مطير، وقد تزوج منهم، وأنجب ابنه غازي، والذي ظهرت عليه علامات النجابة والرجولة، وفي إحدى المرات رغب الابن غازي في زيارة أبناء عمه البيضان وكانوا في نواحي ثرْب، لكثرة ما يسمع عن بطولات البيضان وشجاعتهم وكرمهم.. فما كان منه إلا أن استأذن والده وركب إلى البيضان، وأمضى عندهم عدة أيام، ووجد منهم فوق ما يسمع من حيث قوتهم وكرمهم، وكثرة مجالسهم واتساع بيوتهم، فعاد إلى والده، وقال له: أنا سأرحل إلى البيضان، ولك أن تختار الرحيل معي أو البقاء عند جيرانك من مطير.. فوافق والده على الرحيل، وارتحلوا قاصدين البيضان.. لكنهم لما وصلوا إلى مضارب البيضان لم يجدوا إلا آثارهم لأنهم قد ارتحلوا شمالاً، فتأثر غازي لما رأى منزالهم خاليًا، فواصل رحلته في إثرهم، لكنه قال يصف شوقه إليهم ويلوم نفسه أنه نشأ عند الأجناب حتى فاتته صحبة هؤلاء الشجعان:

يا ثرْب[1] وين اللي عليكم قطينِ
ووين الشجاع، ووين محسن، وحطاب[2]
وتلقى عوض وعضيب[3] متقابلينِ
باطراف بيته تقل مجزار قصَّاب
عِلْمي بهم حطوا اغثريَّة بمين
يتلنّهم قطعان والزمل هِرَّاب
يتلون أخو حسنا[4] امْرَوِّي المدِينِ
ليا ركب حظه، وحظ الردي غاب
وراك ما عانقتهم يا ظنيني
عانقت عز العَيْن يا ربو الاجناب

واستمر في طريقه إلى البيضان، ولما وصلهم أكرموه واحتفوا به، وبقي معهم، لكنه ما لبث أن عاد إلى أخواله مطير مرة أخرى بسبب خلاف حدث بينه وبين أحد البيضان، وأثناء إقامته الثانية عند مطير، أغار البيضان وأخذوا إبلاً لمطير، فهب المطران ومعهم

(١) ثرب موضع قديم معروف الآن في ديار مطير فيه مركز إداري تابع لإمارة منطقة المدينة المنورة، (معجم معالم الحجاز، للبلادي، ط٢، ج١، ص٣٠٧).

(٢) يعني بالشجاع أحد شيوخ فرسان البيضان ومحسن: هو محسن بن عضيب، وحطاب، هو حطاب المشدق، وكلهم شيوخ وفرسان معروفون لدى قبائل نجد.

(٣) وهما من فرسان البيضان.

(٤) يعني الفارس محسن بن عضيب البيضاني.

جارهم معجب الغيداني ، وتقدموا إلى مورد ماء يعتقدون أن البيضان لابد أن يردوا عليه، لكن البيضان أخلفوا الطريق، ولما طال انتظار المطران على الماء وأوشك النهار أن ينتهي قال أحدهم ممن أخذت إبله يتمنى ورود الغزاة ليتمكن من استرداد حلاله :

يا طير ما عيَّنت لي البيضان   يا اللي على العالي رقيب
لِيــَّه نهــارِ حــارس القلبــان   وعَيــًّا يحوشــهم النــصيب

وهنا لم يتمالك معجب الغيداني نفسه وأخذته الحميِّة للبيضان رغم أنه رحل عنهم مغاضبًا، فقال :

مهبول يا اللي تـمتني البيضان   ربعــي عَــمَى عيــن الحريــب
منوتــك ربْــعٍ كلــهم ظفــران   يامــا شبع في دربهــم مــن ذيــب
ياما اذبحوا من مهرةٍ واحصان   هــي وابلــجٍ غــالٍ حبيــب

وعندما وصل الخبر إلى البيضان، جاؤوا إلى معجب وأرضوه، واصطحبوه معهم، فرجع إليهم مرة أخرى، وأكرموه. وزوجوا ابنه غازي من بنت ابن حويَّان البيضاني ، فأنجبت معجب (الثاني) الغيداني الذي انضم إلى حركة الإخوان[1] ، وكان من دهاة الرجال، صاحب رأي وحجة، ولذلك فقد اختاره الإخوان ليفاوض الملك عبدالعزيز عنهم قبل المعركة. عفى الله عن الجميع.

---

(١) رواية: الحميدي بن حامد البيضاني.

٤٢- قصة عيّاد الحنيفي

هذه القصة بطلها عياد بن لافي من الحنانية، من بني سالم، من حرب. وهي تدل على شهامة الرجال سواء من عتيبة أو من حرب حتى وهم أعداء.

كان عيَّاد حائفًا مشهورًا وشجاعًا لا يهاب الأعداء. وفي إحدى المرات أغار ومعه ثلاثة رجال من حرب على حي من عتيبة، ولما وصلوا ديار عتيبة كمنوا حتى أظلم الليل ثم تسللوا إلى ما يواليهم من البيوت.

وكما يقول الراوي - والعهدة عليه - فقد قصدوا الإبل واستطاعوا إطلاق عدد منها، فأخرجوها بخفة من القطيع واستاقوها، لكن عيادًا لم يكتف بهذا بل طلب من أصحابه الابتعاد بالإبل على أن يتأخر هو ويتسلل إلى أحد البيوت لعله يغنم سلاحًا أو متاعًا، ولما دنى من أحد البيوت وإذا هو يسمع أنين امرأة مسكينة، ويسمع أصوات أطفالها يتضورون من الجوع والفاقة، وإذا هي تندب حظها وتدعو على زوجها بحسرة لأنه جعلها في هذه الحالة.. وكان على مقربة من هذا البيت التعيس بيتًا فخمًا يرى جهامته في الظلام، فتسلل إليه يريد أن يلتمس ما يسد

رمق هذه المرأة وأطفالها.

ولما وصل إلى البيت تحسس في يده وهو خارج البيت، فإذا هو يلمس "عِدلَ" التمر، فرفع عنه رواق البيت وجره إلى الخارج، ولأنه لا يستطيع حملة فقد فتحه بخفة بخنجره، ثم أخذ منه مقدارًا لا بأس به احتضنه في حجر ثوبه ثم أسرع به إلى المرأة الجائعة، ولما اقترب منها نادى بلطف منبهًا، ثم تقدم إليها ووضع التمر أمامها، فشكرته ودعت له وهي تظنه من محسني الحي. ثم لحق بأصحابه قبل أن يبتعدوا، وأخبرهم أنه لن يرافقهم وأنه قرر البقاء في هذا الحي، فسألوه مستغربين، فأخبرهم بالقصة، وقال: أنا عملت حسنة وأخشى أن تنقلب إلى سيئة لأن المرأة المسكينة سوف تتهم بالسرقة غدًا! وقال: إن وكيلي على حقي من هذا الكسب فلان؛ فاذهبوا مصحوبين بالسلامة. ثم رجع وقصد أحد البيوت، وتسلل إلى رَبْعة البيت وهي مجلس الرجال قرب مشب النار ونام، دون أن يشعر به أحد.

أما صاحب هذا البيت؛ فإنه لما استيقظ في الصباح الباكر لصلاة الفجر وأراد أن يوقد ناره وإذا بالرجل نائمًا، فأيقظه بحدة فانتبه عياد، واندهش العتيبي صاحب البيت لأنه لا يعرفه، وقال منتهرًا: "أبك أنت صديق والاَّ قوماني؟".. فرد عيَّاد بسرعة: "لا،

والله، أنا قوماني، ولكني ضيف لك!".

ولما فرغوا من صلاة الفجر. شربوا القهوة وأصبحوا وتحادثوا أخبر الضيفُ مضيفه بقصته وبسبب تخلفه عندهم، فأعجب العتيبي بشهامته وتعاطف معه ومع المرأة المسكينة لأنه يعرف قصتها، حيث أن زوجها قد تزوج حديثًا بشابة مال معها وأجحف في حق الزوجة القديمة، كما صادف أن الإبل المسروقة كانت لهذا الزوج أيضًا.

وقد حدث ما توقعه عياد؛ فقد كان البيت الذي أخذ منه التمر هو بيت الزوجة الأخرى التي ما إن اكتشفت سرقة التمر في الصباح حتى ركضت إلى بيت ضرتها ووجدت ما يثبت ظنها، فانهالت شتمًا واتهامًا للزوجة المسكينة، ثم أسرعت لتخبر زوجها، فأقبل يحمل عصًا غليظة لينهال على المسكينة ضربًا. وعياد ومضيفه يتفرجان، فانطلقا إلى صاحب البيت وبادره العتيبي ساخرًا: "أنت آخذ عمودك عند حفنة تمر ولا فقدت إبلك المسروقة يا.....؟".

فالتفت الرجل إلى مبيت الإبل وإذا هي ناقصة. فقال بذهول ما مفاده: "أين الإبل"؟.. فقال له العتيبي: "إبلك سرقها هذا الرجل من حرب، وهو الذي سرق التمر أيضًا ليطعم أولادك

وزوجتك المسكينة البريئة! يا من لا تخاف الله فيها!".

فصاح صاحب الإبل بأعلى صوته ليجمع قومه حتى يلحقوا بأثر الإبل المسروقة. وما هي إلا لحظات حتى اجتمع الرجال الشجعان لنجدة صاحبهم، فلما اجتمعوا قال لهم مضيف عياد: "يا رجَال: هذا يصيح عابته[١] مسروق منها حفنة تمر!".

ثم أخبرهم بقصة الحربي الحائف، وهنا ظهرت نخوة عتيبة أيضًا التي اشتهروا بها بين قبائل نجد، وارتفعت أصوات الرجال منكرين على صاحبهم ومشِيدين بفعل عياد: "كفو.. كفو.. يستاهل العِلْم الغانم!" وكان من ضمن الرجال الذين أتوا على نداء العتيبي أخو زوجته الأولى، فابتدر إلى عياد ومد إليه يمناه حتى أمسك يده، وقال: "أريد أن تشرب القهوة عندي إذا سمح مضيفك!".

ثم أخذه إلى بيته وقال له: "أنت في وجهي حتى تصل إلى أهلك"، وبعد أن أحسن ضيافته، قال: "هذه الذلول لترحل عليها إلى أهلك يا حربي!"[٢].

---

(١) العيبة: كيس كبير يوضع فيه التمر، ولهجة عتيبة وبعض قبائل الحجاز تجعلها: عابة، لأنهم يقلبون الياء ألفًا!".

(٢) رواية كل من: فالح بن هديّب الفريدي، ومحمد بن عيد الحنيني، وعبدالله بن مخيزيم الحنيني.



٤٣ - قصة البشري مع جاره

ومفاد هذه القصة: أن مطيريًا كان نازلاً مع البشارية من بني سالم، من حرب، وكان معززًا مكرمًا وفي أحد الأيام خرج ابن المطيري ويقال له المِحْرِسي ومعه ابن جاره البشري يريدان الصيد وكل منهما معه بندقيته.. وتفرقا في طرد الصيد، وبعد مدة جلس البشري تحت ظل شجرة ليستريح وليختبئ للصيد، وجاء المطيري من الجهة الأخرى ولما لمح شيئًا يتحرك تحت الشجرة ظنه ظبيًا فمد عليه بندقيته، وأصابته، وأسرع لإمساكه ولما وصل وإذا هو صاحبه قد فارق الحياة! فندم أشد الندم على تسرعه ولكن القدر ما عنه مفر!

فحمل الشاب جثة صاحبه البشري وعاد بها إلى والده، وأخبره بما حصل! فما كان من والد القاتل إلاّ أن أسرع إلى سَمْرة البشري وهو كبير قبيلة البشارية من مزينة من بني سالم، وأخبره بما حصل وطلب منه حل هذه المشكلة.

ولما علم سَمْرة البشري وتأكد من حقيقة الأمر وأن القتل كان خطأ، جمع عقلاء البشارية وأهل الرأي منهم، وتشاور

معهم في هذا الموضوع، فاتفق رأيهم على أنهم يجمعون أربعين ناقة من إبل البشارية ويعطونها والد القتيل وينهون هذا الأمر دون الإساءة إلى جارهم المطيري لأنه أجنبي معهم!

فلما جمعوا الإبل المطلوبة ساقوها إلى والد المقتول صلحًا، فأخذها، وتم إنهاء المشكلة[1].

وبالمناسبة؛ فقد تعرض لذكر هذه القصة كثير من شعراء قبيلة حرب، منهم الشاعر محمد بن عبدالله العسيلي الذي يقول من قصيدة طويلة:

الجار عن مَيْلات الايام ندراه
شِفْ قصة البشري بها العِلْم موثوق
كن المهادي شق له من مزاياه
لولا الخبر معروف، تقول مسروق[2]
تشابهت قصة هَلَ الحِلْم والجاه
قصة مثل قصة حوادث ومنطوق

---

(١) رواية: عبدالله بن مخيزيم الحنيني وغيره.

(٢) يشير الشاعر هنا إلى قصة المهادي المشهورة مع جاره، ويقول لولا تأكد صحة الخبر، لقيل إن هذه قصة المهادي بعينها.

مَيْر المهادي جار جاره على انساه

وهذا سبب خطرة[1] من ايدين مطفوق

جارٍ غريب وشاف له ظَبْي واخطاه

واصاب جاره جعل يمناه للعوق

وزبَن على البِشْرِي وخصَّه ببلواه

قدَّام لا يدري عن العِلْم مخلوق

وقام الأمير اللي ابيض العِلْم ينصاه

ونادى على رَبْعِه وقال: اجمعوا سَوْق

ويوم اجمعوا خمسين[2] وضحا مْحنَّاه

رفع براة الجار في راس صعفوق

وابو القتيل أضفى على الجار حِسْناه

ورَجَّع لربعه ما اجمعوا له من النَّوق[3]

...إلخ.

---

(١) الخطرَه (بفتح الخاء وإسكان الطاء): أي الخطأ غير المقصود.

(٢) الرواية تقول إنهم جمعوا أربعين، ويظهر أن الشاعر جعلها خمسين حتى لا يختل الوزن الشعري.

(٣) السَّوق: هو ما يساق في المغارم.

٤٤- من شعر رشدان بن موزة المعمري

رشدان بن خلف بن موزة من المعامرة، من ولد عبدالله، من بني عمرو، من حرب، اشتهر بالكرم المتناهي وبالشجاعة الفائقة. وقد عاش هذا الرجل الكريم حياة مليئة بالرجولة والمغامرة والغزوات كعادة الرجال الأفذاذ من أهل زمانه، إلى أن قتل سنة ١٣٣٤هـ في الثورة العربية في المدينة المنورة، ويسميها البدو: حرب فخري باشا!

وقد اشتهرت قصص رشدان بن موزة بالكرم والشجاعة، لكن التاريخ لم يحفظ لنا كثيرًا من شعره للأسف، وتدل القصيدة التالية على سجيته الكريمة وسخاء نفسه، حيث يقول[١]:

يـا الله يـا فـرَّاج يـا وال الافـراج

يـا مْبَـدّلٍ عِـسْر الليـالي بْلِيْنـيِ

(١) أورد هذه القصيدة منديل الفهيد في كتابه: من آدابنا الشعبية، الطبعة الأولى، ج٤، ص١٤٨، وذكر خطأ أن ابن موزة من المواعزة، والصحيح أن ابن موزة من المعامرة. كما أوردها الدكتور: مرزوق بن صنيتان بن تنباك في كتابه: الفصحى ونظرية الفكر العامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٢٢٢، كما نقلتها عن عدد كبير من الرواة منهم الشيخ عبيد بن مقبول السراني، وغيره.

تفرِجْ لمن بيته على جال مِسْهاج

متوحّــدٍ مــا كــن عنــده قطــيني

ياما حَلاَ وِلْيَا سَرَى كل هَرَّاج

يــا زيــن خَبْط ارقــابهن هــاظليني

وقولــة هَــلاَ قــدَّام يثـنن الادراج

مـن خـاطرٍ مـا فيـه كَنَّـة وُشَـيْني[1]

ومنـارةٍ ناخـذ حَطَبْهـا بـالارواج

ونـارٍ سَنَاها يُوقِـظ النايـميني

مـع دلتيـنٍ فـيهن الـبُن قـد راج

وَارْبـع طُبَاخٍ تقعـد الـمضرميني

وُسَرَيْت يم مربيّة سود الانعاج

واسُــوم بالمعــروف والله يعيــنِ

وليـا فـصلته بـالثمن قـال محتـاج

هــذا ولــد شــاتي كــبير وُسِـمِيني

واخذتها ما لي عن العـذر منهاج

يــا الله يــا ربــي لـمثلـي تـعينـي

(١) المراد بالكنة هنا: التردد والإحجام.

وِلْيَا تعَشوا وانسمح كل بَلاَج

عقب الشفاحة عوَّدَوا لليقينِ

وسوالفٍ لَيْن اَوَّل الصبح ينباج

وتلاوذوا باكوارهن راكبينِ

ريح الشحم معهم يعجعج تعجعاج

امخضبات ارقابهن من يمين

٤٥ – قصيدة في القهوة والكرم

ومن الأشعار التي تدور حول المعنى نفسه الذي عبَّر عنه الشيخ رشدان بن موزة، ما قاله عضيب بن شلاَّح الحربي في وصف حال الرجال الكرماء الذين يفرحون بإكرام الضيف ويفخرون بأنهم لا يتضجرون من الضيف الذي يحل ليلاً بعد هجوع الناس.

فالرجل الكريم، يستبشر بحلول الأضياف ليلاً بخلاف الرجل البخيل الذي يفضل النوم على القيام للأضياف ومسامرتهم والاحتفاء بهم.

يقول الشاعر عضيب الحربي:

يَامَا حَلَى عِقْبَ العِشَا شَبَّة النَّار

عِقْبَ الْهِجُوْع لْيَا رَقد كِلْ كَوْبَة

بْقَفْرِيَّةٍ يا عبَيْد يُودع لَه شْعَار

وِسْوَاة فِنْجَالٍ يشُوْقَك صْبُوبَه

كَيْفٍ يجُوْز لْشَارِب الكَيْف وَالكَار

لَوْ دَوَّرَوْا بَه غَمْزةٍ مَا لقَوا بَه

فِي مَجْلِسٍ فيه الْمِشَاكِيلْ حِضَّار

بْغَيْبَــةِ رِديً الْحَــظ عَــنْهمَ بْنَوبَــة

اللــي يحْـزُّون الْمِـسَيِّر بَالانظَـار

تِكَـاظِمَوا ولْيَـا جَلَـسْ شَوِّشَـوا بَـه

تَلاَفِتَـوا علـى بَعَـضْهَم بالانْظَـار

وتَغَـامزَوا مَـا بَيْـنَهَم وِاضْـحَكَوا بَـه

النَّـاس فِيْهَم يَـا فتـى الْجُـود هَـذّار

مِـسْتَرجِل ولْيَـا لبـس زَيْـن ثَوبَـه

عَـرَّاض غِـرَّة مِـسْلِم غَافـلٍ غَـار

وِيْعَرِّضَـه للنَّـاس لَـو مَـا حَكَـوا بَـه

دَايــم لْغِــرَّاتْ الاَجَاوِيْــد عَقّــار

يظْهِر عيُوبْ، وْلاَ دَرَى عن عيُوبَـه

وفِيْهَم تْبَيْنِي.. لاَ يـسرّك ولاَ ضَار

مَـا غَيْر يْحْسَبْ لَلرِّبَـايع ضَـرُوبَة[1]

وفِـيهَم حِـصَيْنِي قِبـُوعٍ وْقَعَّـار

يُوصَـف على مَـا قِيْـل بَـه طَيْـر ذوبَـة

---

(١) الربايع: هن النساء. والضروبة: هو الفحل الطيِّب.

وفِيْهَم بْلَيْهِيٌ على الكُود صَبَّار

يَصْبِر ولَوْ زَادَت عَلَيْه الصّعُوبَة

لأَجَا زمَانٍ فِيْه غَلْيَن الأَسْعَار

غَدا لْرَبْعَه بَالمْكَايِل جلُوبَة

وِان جَا نَهَار الضّيْق بالمَوسِم الحَار

يرْخِص بِعُمره مَا يعِد مْحَسُوبَه[1]

...إلخ.

(١) المصدر: منديل الفهيد، ج٤، ص١٤٧، والقهوة العربية وما قيل فيها من الشعر، عبدالرحمن بن زيد السويداء، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص١٨٥.

٤٦ - ومما قيل في الكرم أيضاً

عوض بن نومان الفريدي من قبيلة الفردة من مسروح من حرب، توفي في حدود سنة ١٣١٠هـ، ودفن في موضع يقال له فِرْتاج قرب البلازية والروضة من القرى الواقعة جنوب حائل. كان رجلاً كريمًا وحكيمًا، لكن الرواة لم يحفظوا من قصصه وشعره إلاّ القليل وذلك لطول العهد بين وفاته وبين جيل الرواة المعاصرين. ليس لهذا فحسب، بل إن قصيدته الوحيدة تعرضت إلى كثير من التحريف والخلط والتداخل بينها وبين قصائد أخرى مشابهة.

ونظرًا لكثرة الأبيات التي أدخلت على قصيدته، فقد كثر حولها الجدل والخلاف، وكل راوٍ يرويها بطريقة مختلفة، ويرى أن روايته هي الصحيحة، أما الذي أعتقد أنه من أبياته الأصلية فهو:

لا ضاق صدري قِمْت عَجْلٍ بحيني

واركبت ثنتينٍ على صالي النار

ريع قلبي هرجة الغانمينِ

لْيَا جوا مسايرٍ وبالبيت خِطّار

عَسَاك يـا اللـي تكـره الـمقبليـنِ

حَـيٍّ فقـير الحـال ، وِان مِـت للنـار

تـرَى سحُـوت المـال للوارثيـنِ

فكّر بما قبلك من الناس وش صار

جـيْلٍ قِـفَا جيـلٍ قفـوا ضاعنيـنِ

وَرْدَوا علـى عِـدٍّ ولا منـه مـصدار

إمّـا قويـت الـنفس دِنيـا ودِيـنِ

وُرِّثْـت مـع رَبْعِك جمالات واذكار

لـو عِشت فانـت بحسبة الـميتيـنِ

وِان حَل ذِكْرك قيل لك : طافي النار

هذه بعض الأبيات الصحيحة للقصيدة كما أوردها منديل الفهيد، وكما حققناها من عدد كبير من الرواة. وللأسف فإن كثيرًا من الرواة يحرِّفونها على النحو التالي :

لا ضاق صدري قلت دَنُّوا سبيلي ...إلخ.

أو يدخلون فيها بعض الأبيات التي ليس منها مثل قولهم :

مِتْغـبّطٍ بِـسْحوت بقعـا هَبيلـي

وُراس مالـه خامـةٍ تـسعة أشبار

مـا فطّنِـه جيـلٍ تقفّـاه جيلـي

ورْدَوا على عِدٍ ولا صار مـصدار

أما أغرب الروايات حول هذه القصيدة، فهي ما ذكره لي الراوي والشاعر هادي بن مِسْلِط بن شرَيْم الشمري، الذي يرى أنها للشاعر رَدْهان بن عنقا، قالها في مدح هجر بن زيدان الجرباء، وأنها كما يلي:

يـا عاكِـسَنّك مغبَـرَات الـسنينِ

انحر هجر حَيْدٍ على الكود صَبَّار

اجْدَع يدك من عَرْض هاكاليدينِ

على صحـونٍ دب الايـام بيسار

ربيـع قلبـه هرجـة الغانميــنِ

لاجـوا مـسايرٍ وبالبيـت خطّـار

أقول: وهذه رواية خاطئة، وتحريف واضح لا يستقيم به المعنى، فضلاً عن الدلائل والشواهد التي لا تقبل الشك في صحة الرواية السابقة للقصيدة، ومن ذلك مثلاً:

١. الرواية المتواترة لدى الرواة الثقاة من قبيلة حرب وبالذات رواة قبيلة الفردة وهم جماعة صاحب القصة عوض بن نومان.

٢. رواية الشيخ منديل الفهيد لقصيدة ابن نومان منذ سنوات طويلة في كتابه، وفي برنامج البادية، ولم يذكر أن أحدًا عارضه في ذلك!

٣. رواية الأستاذ إبراهيم اليوسف في برنامج قصة وأبيات، ولم يعارضه أحد في ذلك!

٤. أن القصيدة التي قيلت في مدح هجر الجرباء معروفة عند كثير من الرواة والمهتمين بحفظ وتدوين الأشعار القديمة ومنهم منديل الفهيد الذي أورد منها ٩ أبيات في كتابه منسوبة للشاعر ردهان أبو عنقا الشمري(١). كما أوردها الراوية الكبير إبراهيم الواصل، حيث أنها موجودة في مخطوطاته منسوبة إلى الشاعر الخمشي على النحو التالي:

اترك كريم الضيف وقت الشنيني
وانحر هجر حيثه على العِسرْ صَبَّار
وادخل يدك من عَرْض هاكا اليديني
على صحون دب الايام بيسار

---

(١) انظر: من آدابنا الشعبية، لمنديل الفهيد، ج٧، ط٢، ١٤١٠هـ، ص١٣٢.

لَمَـا تِـزِل الـشِّبْط والاربعيـنِ

والاّ تـشوف بحافـة الـروضَ نـوَّار

...إلخ.

ولم يرد في رواية كل من الفهيد والواصل أيًا من الأبيات الواردة في قصيدة عوض بن نومان الفريدي، مما يدل على عدم صحة رواية الشيخ هادي بن شرَيْم(١).

ومما يؤدي إلى وقوع الرواة في الخطأ حول هذه القصيدة، كثرة القصائد المشابهة لها في المعنى والوزن والقافية، مثل القصيدة السابقة الموجهة للجرباء، ومثل قصيدة عبدالله بن صالح بن مصَيْوِل الوهبي من حرب التي أوردها منديل الفهيد في كتابه، ومنها:

يا محارب افهم جابتي يا ظنيني

خلّك بها حَرْصٍ على السِّر واجهار

حاذور عن طاعات ربِّك تليني

خلّك عليها قاسي قِسْيَ الاحجار

---

(١) انظر: من آدابنا الشعبية، منديل الفهيد، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ، ج٤، ص١٤٧. ورواها لنا كل من: رغيَّان بن رويشد الفريدي، وهَلاّل البديراني من البدارين من بني عمرو رحمهم الله، وغيرهم.



وافطن ترى الدنيا تزين وُتشيني

أيضًا ترى الدنيا بها عِسْر وِايسار

يا مسندي لا تجالس الخايبيني

أهل المعاصي والخيانة والاشرار

واحرص بوصل الرحم للأقربينِ

وصل الرحم فيه المعَزّة والافخار[(1)]

وإذا كان إكرام الضيف من أهم خصال العرب الحميدة، فإن تمني قدوم الأضياف أيضًا من السجايا النادرة التي عرفت عن العرب ابتداء من قصص حاتم الطائي إلى يومنا هذا والحمد لله، وقد اشتهر بهذه السجية النادرة عدد كبير من أفراد قبيلة حرب الذين هم موضوع هذا الكتاب، ومنهم: عوض بن نومان الفريدي صاحب هذه القصة، ورشدان بن موزة المعمري العمري الذي مَرّ معنا، ومنهم أيضًا: عجاب بن مبارك الغيداني من بني عمرو من حرب، الذي يقول من قصيدة طويلة أوردها منديل الفهيد، ومنها:

---

(١) من آدابنا الشعبية، منديل الفهيد، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ، ج٤، ص٢٠٩.

لا يا هبوب الريح هِبّي بخطّار

لو كان ما ندري من أيّ القبايل[1]

هِبّي بخطّارٍ على هجعة النار

لا طاب نوم منقّضات الجدايل

حتى اني اسْرِي ناجرٍ ضين تجّار

واشري من خيار المربّين حايل

مع مِنسَفٍ يرمَى عليه من الابزار

عليه مِمَّا يَسّر الله كمايل

خلّ الردِي واخطارته وقت مخضار

لْيَا اختلط بالروض نبت المسايل

الظّفر[2] يذريه الولي وال الاقدار

وراع الكرم يعطيه منشي المخايل

...إلخ[3].

ومنهم أيضًا ابن سِويْد من البدارين من حرب، الذي يقول من قصيدة له :

---

(١) لا: في أول البيت بمعنى: ألا.

(٢) الظّفر: أي الشجاع، وهي من الظّفَر، أي الشجاعة.

(٣) من آدابنا الشعبية، منديل الفهيد، ج٧، ط٢، ١٤١٠هـ، ص١٢٥.

ربيــع قلــبي يــا مــلا في حيــاتي:

قولــة هــلا، مــير المعــاني قديّــة[1]

من شيمة الخطّار أبا افرِش عباتي

الله يحـــيٌّ الـــضيف والآهليّـــة

ورزقي على الله لـين تـاتي وفـاتي

اللـي رزق محسن بْبنـت العبيّـة[2]

...إلخ. وهي أطول من ذلك[3].

وأما كرم خلف بن ناحل وحجرف الذويبي فلن يتسع المجال للحديث عنه، وغيرهم كثير.

---

(١) يقصد بقوله: مير المعاني قدِيّة: أي أن الظروف لا تأتي على هواه، وذلك كناية عن قلة ذات اليد.

(٢) العبيّة: من مرابط الخيل المشهورة، ويقصد بالشطر الأخير ما يروى عن محسن بـن عَجّاب البدراني الحربي من أنه اشترى فرسًا أصيلة من مربط العبيّة، وقد أكد لهـا صاحبها العنـــزي بأنها لا تلد، ثم ولدت له مهرة ثمينة.

(٣) رواية: صنهات بن درع البدراني.



٤٧- قصة الفردة مع جارهم المطيري

ومفاد الرواية: أن رجلاً من مطير اسمه خرمان من جماعة ابن سقيَّان حصل عليه دم في جماعته في رقبتين، فجلا هو وأولاده الخمسة، ونزل مع الفردة وهم على البعجاء، وعاش معهم وهم يعاملونه كأعز واحد منهم حتى أنهم بعد فترة من وصوله إليهم دفعوا عنه دية أحد الرجلين، لكنه فضل البقاء في جوارهم لِما وجده عندهم من حسن الجوار ولطف المعاشرة.. إلا أنه بعد مضي حوالي خمس سنوات اشتاق إلى جماعته، فاستأذن من جيرانه الفردة، وأذنوا له، وكانوا يمازحونه أحيانًا بأنه بعد أن يعود إلى جماعته ربما يغير أبناؤه على حرب، وكان يقول: أتمنى من الله إن جاءكم أحد من أبنائي أن لا يعود إليَّ إلاّ مقتولاً. وكان جاره من حرب عَيَّاد الفرَيْد من الفردة من حرب، قتل في وقائع القوارة سنة ١٣٣٧هـ.

وفي أحد الأيام لما عاد راعي إبل عَيَّاد الفريد مساء، ذكر أنه لمح مركوبة من بعيد قبل غروب الشمس، فقال لابد أنه حائف يريد أن يحوفكم هذه الليلة، ولذلك استعد القوم ورصدوا الإبل طوال الليل، وكان عند الفريد كلب يتصف بالشراسة والقوة، ولما هجع أهل الحي وإذا الكلب ينطلق عاديًا باتجاه شيء غريب،

وإذا الكلب قد علا نباحه، ثم ما لبث أن انقطع صوته فجأة!.. وتبيَّن أن السبب أنه عرف الرجل القادم الذي وهو الابن الأكبر لجارهم المطيري، واسمه محسن بن خرمان ومعه بعض إخوانه، وقد عرفهم الكلب فخضع لهم.. لكن أهله ظنوا أن الكلب لم يجد أحدًا، فانتظر المطيري بقرب الإبل حتى مضى الهزيع الأول من الليل، ثم تسلل إلى الإبل يريد أن يستاق ما يقدر عليه منها، ولكنه ما إن توسط الإبل حتى وقع في يد راعي الإبل الذي كان يتوقع السطو عليها في تلك الليلة، وكانت بندقيته جاهزة، فلما تمكن من الرجل أطلقها في جوفه، فخرَّ صريعًا!.. فما كان من رفاقه لما سمعوا إطلاق النار إلا أن ابتعدوا عائدين من حيث أتوا.. أما الفرَيْد فإنه لما أصبح وجاء يتحقق من الحائف وإذا هو محسن بن خرمان ولد جاره المطيري!

ورجع رفاق المطيري وأخبروا والده بما صار، فركب على الفور وجاء إلى الفردة جيرانه.. وبعد أن رحبوا به سألهم عن ابنه محسن، فقالوا: دفناه في ذلك الحزم بعد أن غزى جيرانه ولم يقدِّر حق المعروف والجيرة!.. فقال أبو ه فورًا: والله، لو لم تقتلوه لقتلته ويستحق ما جاءه!.. ثم ركب ورجع إلى قومه.. وهذا يدل على وفاء الأب، وشهامته وتقديره للمعروف والجيرة!

٤٨- الوفاء من أجل الشعر

هذه القصة رواها ثروي الظفيري وهو راوية كبير السن وهو مقيم في نواحي حفر الباطن وأولاده موجودون في دولة الكويت وذلك سنة ١٤٠٢هـ.. وهي تدل على احترام العرب ووفائهم لبعضهم وعدم نسيانهم للجميل. ومفاد القصة أن رجلاً من الدغيِّم من الكلخة من بني علي من حرب اسمه محمد كان نازحًا عن جماعته ومجاورًا مع عرب الشيخ حمود بن سوَيْط شيخ الظفير الذي كانت شيخته في زمن سعود بن عبدالعزيز بن رشيد، أي أن هذه القصة جرت في حدود سنة ١٣٣٠هـ.

وذلك أنه في أحد الأيام أغار قوم على إبل الظفير فأخذوها، فلحق فرسان قبيلة الظفير ومن ضمنهم محمد العلوي الذي كان له دور بارز في استرداد الإبل والاستيلاء على عدد من فرسان القوم المهاجمين عن طريق المنع وهو التسليم على ضمان سلامة الرقبة فقط، أما الذي مع المنوع من السلاح والرِّكاب فيكون للمانع حرية التصرف فيه.

فعاد المنعاء ومعهم ١٩ من الهجن و٦ من الخيل، ولما اجتمع رجال الظفير في مجلس ابن سُوَيْط وأخبروه بما جرى وما فعله

جارهم الغريب محمد العلوي، قال: إن الأجنبي الطيّب إذا فزع نفعك، وإذا كَرَمَ أشبعك، وإذا مات ما أوجعك!

ووصلت هذه الكلمة التي لم يحسب لها الشيخ حسابًا إلى محمد العلوي فحزَّت في نفسه، وعزم على الرحيل والعودة إلى ديار جماعته وعشريته. وفي الصباح التالي جاء إلى الشيخ ابن سويط وسلم عليه، واستأذن منه للرحيل، وحاول الشيخ منعه لكنه أخبر الشيخ بأنه عازم على الرحيل.

ولما رأى الشيخ إصراره على الرحيل عرف بحنكته وفطانته أن تلك الكلمة التي قالها بالأمس قد وصلت إلى مسامع جاره عن طريق الوشاة، وأحس بالندم على ذلك ولكن قد فات الندم.

فطلب منه الشيخ ابن سويط أن يتريث قليلاً ليشربا القهوة معًا قبل أن يرحل. وأثناء ذلك ساد الصمت وكأن الشيخ ابن سويط الطاعن في السن يفكر في أمر مهم، والحقيقة أنه كان يفكر في هذا الموقف وكيف يصلح غلطته على جاره.

ثم بعد ذلك التفت على جاره العلوي وقال: اسمع يا محمد:

شدَّيت يا محمد وجِنَّا مقيمين

وحَكْي الخطا يَرْجَع على من حكَى به

حكيٍ بليل وقيل من غير تثمين

والليل يخفي من مشاه وسرَى به

وحياة من له يسجدون المصَلّين

ما انساك في لِيْن الدهر واكترابه

وان جارت الأيام لك عندنا دَيْن

يا اللي لربعك ما تحوش الجنابة

يا اللي برمحك جبت قومٍ امطيعين

في ساعة ما ينلقي من غدا به

منعت ست امهار والهجن عشرين

وغلاقهن راحت عَشَى للذيابة

وربعك حمول الخيل ما هم رِدِيِّين

رَجَّالهم مع قو باسه صَلاَبة

ولما رحل العلوي من عند ابن سويط أرسل له الأبيات التالية ردًا على قصيدته السابقة :

يا شيخ مَضَّينا بقربك زمانين

على المعزَّة يا قوي المهابة

نعمٍ بكم يا اهل الوفا والقوانين

لكن حربيٌ تذكَّر خْرَابة

من بعدهم يا شيخ ما ترقد العيـن

إي والـــذي بالنـــور نـــزَّل كتابـــه

والأجنبي ربعـه لباسـه عـن البَيْن

لا حَن يا ابـن سـويط قـوس الربابـة

وربعي على اظهور السبايا سلاطين

لا حـل باطـراف الجهامـة ضبابـة

وعندي لربعي يا السويطي براهين

وكـل لـراســه بالـشـدايد عـصابـة

يقـول الـراوي إن الأبيـات أطـول مـن ذلـك ولكنـه لا يحفظهـا كاملة. ويضيف الـراوي أنـه دار الزمـان وتوفي الـشيخ ابـن سـويط وحل ابنه مكانه وأغار الظفير على إبل لحرب وأخذوها وهي ليست لمحمد العلوي لكن صاحبها استنجد به، فذهب إلى ابن سويط الابن وطلب منه أداء الإبل بسبب ما بينهما من الجيرة بالسابق، لكن ابن سويط رفض. فقال له العلوي هل نسيت قول والدك: "إن جارت الأيام لك عندنا دَيْن ...إلخ البيت". فتغير وجه ابن سويط وقال: بل أذكر، لكن الشيطان وهوى النفس كاد أن ينسيني. وقال العلوي: إننا نستطيع أخذها بالقوة لكني أردت أن

أردها بحقي الذي عندكم قبل أن ألجأ للقوة. وقام معه وذهب إلى العرب الذين أخذوا الإبل وطلب منهم أداء الإبل، فرفضوا وقالوا هذه إبل أخذناها بالقوة ولا ترد إلاً بالقوة.

فغضب ابن سويط من أولئك القوم من قبيلته وذهب من عندهم هو والعلوي عائدين إلى بيت ابن سويط.

لكن القوم تشاوروا بعدما ذهب ابن سويط من عندهم وعرفوا أنهم أغضبوه وأن هذا الأمر قد يؤدي إلى انشقاق صف القبيلة وربما يكون سببًا في ضعفها وفنائها. فندموا على ما بدر منهم واتفقوا على رد الإبل بكاملها، وأرسلوا من يخبر ابن سويط بذلك، ولم يكد يصل إلى بيته إلا ومندوبهم قد جاءه ليخبره بما حصل منهم. وأعيدت إبل العلوي بكاملها.

وهذا من وفاء العرب، فما أجمل الوفاء بين أهل الوفاء، فالأيام تمضي والأعمار تذهب والوفاء يبقى ذكره العطر تتناقله الأجيال. وقد صدق الشاعر العربي الذي يقول:

المرء يَفنَى عاجلاً أم آجلاً ... ما دام إلا الذكرُ والأفعالُ





٤٩ – ومن قصص الوفاء أيضًا

قصة مرزوق الحثل مع صديقه سعود الهامل القحطاني

بمناسبة القصة السابقة فقد خطر لي أن أورد القصة التالية، وهي من قصص الوفاء والمعروف بين الأصدقاء. وذلك أنه في إحدى السنوات كان الشاعر سعود الهامل القحطاني، وهو رجل مشهور ومعروف بكل ذكر طيِّب، بينه وبين الشاعر مرزوق بن مبشر المزيني الحربي صداقة تقوم على الوفاء والمروءة والمحبة الصادقة، كان سعود الهامل يبني له بيتًا في مدينة الخرج واتفق مع أحد المقاولين على بناء البيت. وبدأ المقاول في عمله، وأحضر معداته وصار يعمل حسب الاتفاق، ويستلم مستحقاته على دفعات حسب العقد.

لكن سعود تعرض لبعض الظروف المالية الصعبة في آخر المشروع، وحصل بينه وبين المقاول خلاف أدى إلى أن المقاول توقف عن العمل في الموقع قبل أن ينتهي البيت، بسبب عدم استطاعة سعود تسليم الدفعات الأخيرة. وفي تلك الأثناء مَرَّ صديقه مرزوق الحِثل على البيت، فوجد أن العمل متوقف، والمقاول قد سحب معداته، فذهب إلى صديقه سعود وسأله عن

سـبب التوقـف، فـأخبره بالقـصة. ودون أن يطلـب سـعود أي مساعدة ذهب مرزوق إلى بيته وأحضر المبلغ المستحق للمقاول بكامله، وسلمه إياه، وطلب منه أن يعيد المعدات إلى الموقع، وأن لا يصبح نهار اليوم التالي إلاّ والعمل قائم كما كان. وفعلاً عاد المقاول للعمل صباح اليوم التالي، ولم يستغرب سعود منه ذلك لأن الاثنين قد تعوَّدَا من بعضهما تبادل الأفعال الجميلة. وبهذه المناسبة قال الشاعر سعود الهامل:

مـرزوق وِش قومـه علينـا يعِيْلـي

مِتْعَرّضٍ مـا لـه مـع السُّوق مـا سُوق

يـا اهْـل المَعَرْفـة والوفـا والـدليلي

يـا ليـت كـلٍ عَيْلِتِـه مثـل مـرزوق

اللــي يبــادر بالعطــا والجميلــي

لـو مـا لنـا عنـده مـشاريه وِحْقـوق

دروب المراجـل حَطّهـا لـه عميلـي

متسيطرٍ حَوَّل على الطّيب من فـوق

لعـل يفـداه الـرُّدي والبخيلــي

واللـي على الرَّبْع المواليـن خـازوق

أبو مْبشَر شوق ضاف الجديلي

راع اشقرٍ عن باهي الوجه مفهوق

اختارته بين الجماعة حليلي

حب الوفا ما هوب حبٍ على البَوْق

دمُه خفيف ورَوْز عقله ثقيلي

والى هَرَج ما هوب فالهرج مطفوق

تِبْنَى له البَيْضا براس الطويلي

واعلامها ترْكَز على كل شاهوق

من لابةٍ بالهَوْش تِبْرَ الغليلي

يا ما رَعَن اذوادهم كل زملوق

وان جات سَوْقات الدهر والهزيلي

عاداتهم ذبح الخرافين والنوق

والى ظهر جيلٍ نشا عقب جيلي

طِيْبه معه ما هي وصايا بصندوق

يشير الشاعر في قوله: (اللي يبادر بالعطا والجميلي) إلى أن مرزوق بادر بحل مشكلة صديقه، والوقوف معه في تلك الظروف، دون أن يطلب منه أحد ذلك[1].

---

(١) روى لي هذه القصة صاحبها سعود الهامل القحطاني مباشرة، وسبق أن نشرها الأستاذ إبراهيم اليوسف في كتابه: "قصة وأبيات"، الجزء الثاني.

وعندما سمع والدي موسى بن فايز البدراني الحربي – رحمه الله – هذه القصة عبر برنامج قصة وأبيات الذي كان يقدمه الراوي إبراهيم اليوسف، أعجب بها كعادته في الإعجاب بكل عِلْم طيِّب، فكتب الأبيات التالية، وحَمَّلني إياها إلى الشاعر مرزوق الحثل، وهي:

١- يا راكبْ اللي طايل الخط يَطْوِيه

جـمْسٍ جديـد الـصنع تَـوّه يجـابي

٢- جمـسٍ جديـد راكبـه مـا يداريـه

يَقْطَـعْ طواريـق الخـلا مـا يَهَـابي

٣- يم الحِثِلْ مرزوق جمسي امنَصّيه

وَصِّـل سـلامـي لـه وُعَطْـه الكـتابي

٤- قِل له: ترى فِعْلِك قليل امْسَوِّيه

عـز الله انـه يـا الـمشَبَّبْ صـوَابي

٥- حق الخَوِي والجار يا القرم مدِّيه

الله يـجـازيكـم بحـسـن الثـوابي

٦- والمـال يـا مـرزوق نـبي انْخَلِّيـه

ومَرَدّنـا عقـب الحيـاة الترابـي

٧- وعلى النبي صلوا إلى حل طاريه

عد النجوم وعد روس الهضابي

وقد رد عليه الشاعر مرزوق الحثل بالأبيات التالية :

١- اليوم جانا خط من شخص نغليه

من الشيخ ابو فايز عزيز الجنابي

٢- الخط يرفع قيمته قدر راعيه

ومدح أبو فايز صار ماي وزهابي

٣- يا الله عساني عند حروة هقاويه

الشايب اللي نظرته للسحابي

٤- معنى كلامه من شذى الورد مسقيه

به خبرة الشايب وروح الشبابي

٥- أقول واكرر: عسى الله يْحَيِّيه

حيثه سليم من الربا والمرابي

٦- سليم منطوقه وعذبة قوافيه

أعذب من الصافي لذيذ الشرابي

٧- وشكرًا على مدحه وكامل معانيه

وهذي تحياتي وكامل اعجابي



٥٠- المال ما طيّب اعفون الرجاجيل[1]

هذه القصة أوردها الشيخ منديل الفهيد في كتابه، لكننا نوردها بتفصيل أكثر!

إنها من قصص النساء التي تدل على أصالة نساء العرب وحرصهن على الخصال الحميدة وإعجابهن بذوي الهمم العالية من الرجال، حيث أن مقياس الرجال عندهن هو الأخلاق الفاضلة والصفات التي يحث عليها ديننا الحنيف ويقوم عليها مجتمعنا العربي المسلم، وليس المقياس عندهن مقدار ثروة الزوج أو وظيفته أو جماله.

وهذه القصة جرت على هَيَا بنت عيادة بن راشد العوني من بني سالم من حرب وذلك في حدود سنة ١٣٥٠هـ تقريبًا، حيث كانت عند زوجها مبشر بن مرزوق من الحصنان من مزينة من بني سالم من حرب، وكان رجلاً يملك جميع صفات الرجولة من التقوى والكرم وحسن المعاشرة، لكنه كان يعاني من ضيق ذات

---

(١) حول هذه القصة انظر: من آدابنا الشعبية، تأليف: منديل الفهيد ج٢، ص٦٠، وص١٧٠، وجريدة الجزيرة الصادرة يوم الخميس ٣ رجب ١٤١٤هـ، وكذلك يوم الخميس ٩ شعبان ١٤١٤هـ.

اليد في تلك الحقبة التاريخية القاسية من حياة أسلافنا قبل أن يفتح الله على هذه البلاد أبواب الخير وتكثر النعم ويستتب الأمن وينتشر العلم بفضل الله ثم بفضل حكام هذه البلاد جزاهم الله خيرًا وأعز الله على الإسلام مُلكهم.

وفي إحدى المرَّات زارها والدها، ولما رأى ما هم عليه من قلة ذات اليد أشفق عليها وأخذها معه لتزور والدتها وإخوانها ولتمضي عندهم بعض الوقت. لكن والدها تأخر في إعادتها إلى زوجها بعض الشيء، وكانت هي تفضَّل أن تعيش مع زوجها على فقره ولا تعيش في بيت والدها مدللة مرفهة، وذلك لِمَا رأت من زوجها من خصال المروءة وطيب النفس وحسن المعاشرة لها. وفي إحدى المرات سمعها والدها تتغنى ببعض الأبيات وهي لم تشعر بوجود والدها بقربها.

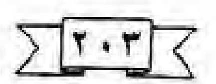
أما الأبيات فمنها:

يا من لِعَيْنٍ حاربت سَوْجَة الميْل

على عشيرٍ بالحشا شب ضوّه

عليك يا للي طبخته نصفها هَيْل

اللي سعى بالطيب من غير قوّة



المال ما طيَّب عفون الرجاجيل

والقل ما يقصر براع المروّة

يا عنك ما حس الرفاقة ولا قيل

ذا مغثيٍ ما ينزّل حَول جَوّه

له عادةٍ ينطح وجيه المقابيل

هذي فعوله بالمراجل تفوّه

أجواد نسل أجواد جيلٍ ورا جيل

الطِّيب فيهم من قديم وتوّه

وفجأة خرج عليها والدها وطلب منها أن تعيد عليه الأبيات فرفضت، لكنه ألَحَّ عليها حتى أسمعته إياها كاملة، فأعجب بها وبتقديرها لزوجها، وقام بإيصالها إلى زوجها على الفور ومعها حمل جمل من الأرزاق والقهوة هدية لزوجها ومساعدة له على ظروفه العابرة، وتقديرًا لمروءته وشهامته.

وبالمناسبة فقد توفيت هذه المرأة النبيلة في حدود سنة ١٣٧١هـ تغمدها الله بواسع رحمته، كما توفي زوجها مبشر في بلدة (دخنة) في العشر الأواخر من رمضان سنة ١٤١٥هـ صائمًا قائمًا بعد عُمُرٍ حافل بالاستقامة وطاعة الله ومكارم الأخلاق،

نسأل الله له ولها واسع المغفرة.

وبالمناسبة أيضًا فهذه الشاعرة هي والدة الشاعر المشهور مرزوق بن مبشر الحثل الحربي الذي يقيم الآن في مدينة الخرج مع بعض إخوانه وكلهم رجال كرام كأسلافهم.



٥١- من شيم العرب وعاداتهم

القصة التالية رواها المؤرخ محمد العلي العبيِّد من أهل عنيزة وهو من الرواة الموثوقين لأنه عاصر البادية وعرف أخبارهم وقصصهم عن كثب. والقصة تدل على بعض عادات بادية نجد في الزمن السابق، حيث أنهم وإن كانوا يعيشون عيشة الفوضى والسلب والنهب إلاّ أنه كان لهم عادات وشيم يتمسكون بها ويحترمونها مثل الشهامة والشجاعة والكرم والمحافظة على الجار والخوي والوفاء بالعهود.

وكان من عاداتهم كما يقول المؤرخ العبيِّد: (أنهم كانوا يحافظون على من أعطوه الأمان حتى ولو كان الأمان من امرأة، فإن رجالها يجيرون من أجارت ويحمون جوارها ويأخذون لها الحق، فلو أنها سلَّمت على قوم أو ردّت عليهم السلام فإنهم سالمين، ولو كانت هذه القبيلة تطلب منهم ثأرًا، لأن من عوائدهم أن من سَلَّم فقد سَلِم، وكانوا يقولون: ثلاثة لا يقبل فيه خصومة ولا حق؛ ومنهم: الضيف السارح والطنب السابح وهو الجار، والضيف السارح هو الذي أضاف أهل بيت وأكل عندهم بليل أو نهار ثم سَرَح من عندهم. فإذا اعترضه أحد في

الطريق ، فإن مضيفيه يقومون بحمايته. والذي يستطعم طعامًا عندهم فإنه يكون في وجوههم حتى ولو كان فنجال قهوة أو تمرة واحدة أو شيئًا من لبن فإنه يأمن من شرهم وإذا أخِذ له شيء من قبيلتهم فإنهم يؤدونه له).

ومثال ذلك كما يقول العبيِّد رحمه الله : (.... وأذكر للقارئ قصصًا شاهدتها بنفسي ، فمنها أن رجلاً من الذوبة وهم رؤساء بني عمرو من حرب ركب من أهله قاصدًا عبدالعزيز بن سعود بالرياض ، وهو عوَّاد بن فلاح الذويبي ، وكان ذلك سنة ١٣٢٨هـ ، فلما كان في عرض الطريق وجد إبْلاً عازبة عن أهلها ، وهي لذوي بدَيْر من بني عبدالله من مطير ، وهم جماعة محمد بن حَوْكة ، وكان من الذويبي خمسة من عشيرته ، فوقف على أهل الإبل ، وطلب منهم حليبًا ، كعادة المسافرين ، فسقوهم جميعًا حتى اكتفوا ، فمشى في طريقه هو وأصحابه ، فلما غاب عن الأنظار ، وإذا قوم قد أغاروا على تلك الإبل واجتاحوها ، فلم يسلم منها سِوَى جمل صغير ...إلخ). ثم يضيف العبيِّد ما مفاده أن صاحب الإبل لحق بالذويبي وأصحابه ، وأخبره بأن الإبل التي شرب هو وأصحابه من حليبها قد أخذوها حرب ،

فرجع الذويبي مع المطيري وثار معه على الذي أخذها من حرب وقال له: (نمشي أنا وأنت إلى سلُوم[1] حرب. فقال الذويبي: والله إن مشيت معك إلى سلوم حرب في معزبتي[2] إني ما عاد أسْوَى[3] عند حرب هذه الرمادة الباردة – مشيرًا إلى رماد النار – ووالله إن تردها وأنا ما قمت من مجلسي هذا!

فما كان إلاّ أن أدَّاها، واستلمها صاحبها كاملة غير منقوصة)[4].



(١) سلُوم: جمع سَلْم، والمقصود قوانينهم وعاداتهم.

(٢) مُعَزّبتي: المُعَزّب هو المستضيف، ومعزبتي أي مستضيفتي، لأنها استضافته وشرب من حليبها.

(٣) ما عاد أسوى: أي لا أساوي.

(٤) أوردها العبيِّد في مخطوطته المسماة: النجم اللامع.

٥٢ - من قصص الشيخ محسن الفرم

هذه القصة أوردها منديل الفهيد في كتابه، أنقلها هنا دون إضافات، حيث يقول: (محسن الفِرْم شيخ بني علي من حرب لا يحتاج إلى تعريف فقد طبقت شهرته الآفاق، ومع ما عرف عنه من فروسية وقوة بأس وسداد رأي؛ فقد عرف أيضًا بحسن الطوية ورقة القلب للفقير والبائس والوافد.

كما عرف بالصدق والوفاء والسخاء، وكان لا يمن بعطيته بل ينساها في حينها، وكان له وزير يحيل إليه المسترفدين فإذا نفد ما عنده استلف حتى لا يرد مسترفده خائبًا.

وقد أدركته رحمه الله وعرفته عن كثب، وحدثني مشافهة: أنه وجماعته كانوا في آخر الربيع فهبت عليهم ريح شديدة أيبست بقايا العشب واشتدت حرارة الجو حتى أدركهم الظمأ رجالاً ونساءً وأطفالاً وماشية ولاسيما أن الماشية قبل الهبوب قد سَلَتْ عن الماء برطوبة العشب، وكانت موارد الماء عنهم بعيدة بمقدار خمسة أيام، وكثيرًا ما تهلك الأناسي والمواشي إذا بعدت الموارد.

وذكر الشيخ الفرم أنه أفجعه بكاء النساء على أطفالهن حتى إن أم الطفل ترفعه في الهواء لكي يتبَرّد، وزادهم يأسًا مع بُعد

الموارد أن أوان الأمطار قد انتهى.

فانسلَّ الفِرْم عن جماعته حتى لا يراه أحد، وأناخ راحلته وقلب ملابسه واتجه إلى الله مستقبلاً القبلة بتضرع ونية صادقة وإلحاح في الدعاء.

فما أنهى صلاته حتى غشيتهم سحابة لم تتجاوزهم حتى ارتووا جميعهم).

وبهذه المناسبة قال المؤلف – أي منديل الفهيد – :

دنياك يجري به من الله تخاليف

واذكارها تبقَى مع الناس عِبْرَة

يومٍ جَرَى للفِرْم مِرْوِي شِبَا السَّيف

اللي مع الشيخان يا طول شِبْره

شاف العرب هَلْكَوا، ولا به محاريف

سجد لربه يستغيثه بْعَبْرَة

رَحَمْهُم الله في سحاب مهاديف

بايام قيض.. ونشُدُوا من يَخَبْرِه[1]

انتهى كلام الفهيد..

---

(١) من آدابنا الشعبية، منديل الفهيد، ج٤، ص٣٣ و٣٤.

وأود أن أضيف: أن هناك قصصاً مشابهة، ولا غرابة في ذلك؛ فإن الله سبحانه وتعالى قريب مجيب، وهو القائل سبحانه: (أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه؟) الآية (٦٢)، سورة النمل.

وقد أورد فهد المارك في كتابه "من شيم العرب" قصة مماثلة لرجل من أهل حائل اسمه مبارك السعيد، وهناك قصة أخرى لرجل من أهل الحوطة اسمه ناصر بن حاضر[1]، وغيرها كثير.

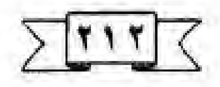
(١) من شيم العرب، فهد المارك، ط٣، ج٢، ص٢٤٢.

٥٣- من قصص الكرم
قصة عجاب الغيداني

عَجّاب الغيداني من شيوخ الغيادين وهم فخذ كبير من أفخاذ قبيلة بني عمرو من مسروح، من حرب، وكان ذلك قبل ظهور شيخهم ذعار بن بَتْلاَ المتوفى سنة ١٣٦٥هـ، الذي خلفه في الإمارة أبناؤه، ومنهم: محمد بن ذعار ومقره دخنة، وشقيقه الحمَيدي بن بتلا، ومقره بلدة الأحمدية الواقعة في الجنوب الغربي من محافظة عنيزة في منطقة القصيم.

وهذه القصة أوردها منديل الفهيد أيضًا، حيث يقول: (من عادة عجاب بن مبارك من الغيادين من حرب أن ينزل في نخل له بضواحي المدينة المنورة في وقت القيظ حتى يتم جذاذ النخل. وكان يضطر إلى شراء أغنام ذبائح لضيوفه لأن ماشيته ترعى في البر بعيدة عنه، فكان يشتري الشاة بحاشي من نتاج الإبل، وهذا الحاشي يسمى مصموعًا، وكان بائعو الغنم يفدون إلى عجاب بالبر أيام الربيع ويتقاضون دَيْنهم.

وذات مرة مَرّ على المدينة ومعه بيتان - من أهله - فتذكر عاداته السابقة، فقال:



باكر لْيَا مِنَّا ظَهَرنا مع الرِّيْع
جينا المنازل والنخل بالشعيب
بس البيوت اثنين معهن توابيع
اثنين والثالث هَلِهْ بالمغِيب
يا من يرد الزمل يم التسانيع
يا من ينادينا وحِنًّا نجيب
يا اللي تبي لك ناقة بالمراجيع
تكفى ترى فينا المضارب تصيب
تجوزُ فينا الطيِّبَة والمنافيع
وِطْمَاعَةٍ فينا بَعَدْ للبّبيب
حِنّا هل الشيمة بْلَيَّا تمانيع
أهل العطا الواجد والأَصْل العَرِيب
وكيفٍ إذا سَيَّرت ما فيه تمنيع
بدلال ما يْعرَض عليها السريب
ما هَمّني إلاّ ركَيْبٍ مجاويع
السمن لايذ، والغنم بالعزيب
ضمَّر وَحَفْياتٍ واهلهن بواتيع
فيها اللغوم مقصصات السبيب

يبون من يبري التعب والقواطيع

كبشٍ يسام بصافيات الحليب

امضيّفة خطّارنا بالمصاميع

بالعزم والا ماش مِعْنا قضيب

إن شِفت في نفسي مواري تهازيع

ما اطاوع النفس الهنوع تغدي بي

وان شفت في نفسي مواري ترافيع

رفعتها والطّيْب للي يطيب

عِيفي الردِي يا لابسات المجازيع

عيفية يا عين القضيب الربيب

لا تاخذين إلا العِيَال البواتيع

لَطّامة العايل نْحَاز الحريب

تلقى الردِي عند القهاوي مكاويع

لِعْرَاش، والاّ لقمةٍ ما تثيب[1]

(١) من آدابنا الشعبية، منديل الفهيد، ج٣، ط١، سنة ١٤٠٥هـ، ص٣٤.

٥٤- من قصص الشيخ ذعار بن سِعدَى

يروى أن الشيخ ذعار بن سِعدَى شيخ قبيلة الوهوب المتوفى سنة ١٣٧٠هـ، كان غائبًا عن عربه في إحدى المرات، فجاء العرب نذير بأن عليهم خطر من بعض أعدائهم الذين ينوون الإغارة عليهم، فتشاور الحاضرون من رجال الوهوب، وكان رأيهم أن يرتحلوا من المكان نظرًا لغياب شيخهم وعدد كبير من فرسانهم في إحدى غزواتهم البعيدة. فارتحل القوم على عجل ومخافة، وساروا مسافة طويلة، فقالت إحدى زوجات الشيخ ذعار الأبيات التالية تتمنى لو أن الشيخ كان حاضرًا، حتى لا يضطرون إلى الرحيل:

الزمل من كثر التساويق واني
وتزبنوا مع دربهم فيضة الشيخ
الله يجيب الشيخ مرذي السماني
شيخٍ خلَط مع فرسته هَبَّة الريح
اللي يرَتـَعْنا بلَيًّا عواني
شيخٍ يهَلّي بالوجيه المفاليح

وهي أطول من ذلك[1].

---

(١) رواية: غربي بن حاسر الوهبي.

٥٥- من قصص مريبد العدواني مع الوهوب

يروى أن الشاعر والفارس مريبد العدواني كان جارًا لفريق من قبيلة الوهوب من مسروح من حرب مدة من الوقت، وكان بينهم من حسن الجوار وكرم الضيافة ما جعل مريبد العدواني يتذكر جيرانه الوهوب عندما غادرهم ونزل في جوار ناس آخرين من قبيلة أخرى، ورأى من جاره المباشر ما لا يسره. وتذكر جيرانه الوهوب وما كان بينهم من حسن الجوار والتقدير المتبادل، فقال مريبد الأبيات التالية من قصيدة له يخاطب جاره الجديد:

يا عل ما ربعك جماعة محيَّا

غوش الوهوب اللي على الخيل ماذاة

قصيرهم لو هو عن الزاد عَيَّا

تنهج مداويره تدُوره وتلقاه

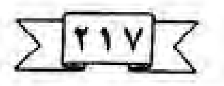
والاّ أنت يا كوبان وجه الحدَيّا

قصيرك اللازم عن الحق تنساه

...إلخ.

ويشير الشاعر في قصيدته إلى أن جيرانه من الوهوب عندما يكون عندهم وليمة أو ضيافة لا ينسون جارهم، بل يحرصون على حضوره ويذهبون للبحث عنه إلى أن يجدوه، وعندما يتعذر حضوره أحيانًا لأي سبب فإنهم يرسلون له نصيبه من الوليمة، وتسمى عند البادية الحقة، وهي إما يد الذبيحة أو رجلها أو جنبها أو نحو ذلك، المهم أنها تكون من أطيب أجزاء الذبيحة[1].

(١) رواية: غربي بن جاسر الوهبي.



٥٦- ومن قصص الوهوب أيضًا

الأبيات التالية تنسب لناصر بن ثواب بن راشد بن عبيد العرنوط من الوهوب من حرب، وهو من فرسان الوهوب ومشاهيرهم في الزمن السابق، وملخص القصة أنه كان هو ومجموعة من جماعته عددهم ستة أنفار على ست ركائب. كانوا في غزية فمروا على إحدى القرى القريبة من قصر ابن عقيّل في منطقة القصيم، فاشتروا زادًا، وهو عبارة عن حنطة حب وطحنوها عند أهل بيت هناك، ولما ذهبوا من عندهم قليلاً وإذا هم يصطدمون بغزاة آخرين من أعدائهم يفوقونهم عددًا وعدة، حيث يبلغ ذلك الغزو قرابة خمسين أو ستين شخصًا كما تفيد القصيدة.

ولما أدرك ناصر العرنوط ورفاقه أنه لا خيار أمامهم إلاّ أن يدافعوا عن أنفسهم بكل شجاعة أو أن يكونوا غنيمة سهلة لأعدائهم، تعاهدوا على القتال والثبات من أجل نجاتهم، إذ لا بديل لهم عن ذلك. فأناخوا ركائبهم وأعدوا بنادقهم واستعدوا للتصدي لأعدائهم، والتحموا معهم في معركة يشيب لها الرضيع، واستطاعوا أن يصدوا أعداءهم، وأن يحموا أنفسهم وركائبهم، وفي ذلك يقول ناصر في أبيات منها:

تهيّض العرنوط في حومة الوغى

بيومٍ جرى له في ضحاه عذاب

جونا وجيناهم ونِخْنا ونَوّخوا

واللي خفيٌ بالرجّال ايجاب

وحنا فقط ستة ولا زاد عَدّنا

ستة رياجيلٍ وُست رْكَاب

واضدادنا ستين كامل عددهم

ويبون غير رْكابنا الارقاب

لكن حربناهم بحامي جَهَدنا

بمشَوّكٍ يقضي على من صاب

بافواه جرْدٍ ينثر الدم ضربهن

يُودِع صماصيم العظام خْطَاب

كلّه لمن تنشد على الدوم عَنّا

والفاطر اللي للرديف تجاب

أولاد وَهْبٍ ما خلَطْهم غيرهم

في ساعة ضاعت بها الاطباب

بغير الظفر صعب التخلص منها

حَرْجَة يشيّب من خطرها الشاب

...إلخ[1].

---

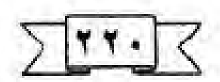
(١) رواية: غربي بن جاسر الوهبي.

٥٧- من قصص الشيخ راشد بن تنباك*

يروَى أن الدولة العثمانية ألقت القبض على أحد أفراد عشيرة الشيخ راشد بن تنباك وهو من أشهر شيوخ قبيلة الأشداء من بني عمرو من حرب في زمنه، وبعد أن طال الوقت على السجين واسمه زائد ولم يطلق سراحه، جاءت والدته إلى بيت الشيخ راشد ومجلسه عامر بقومه. فصاحت وشقت ملابسها أمامهم، فما كان منه إلا أن أمر من عنده برد الركائب التي كانت حاضرة على الماء، وعندما وردت الإبل الأخرى أمرهم جميعًا بالتجهيز للغزو، واتجهوا نحو المدينة المنورة. وبعد أن وصلوا إلى مشارف المدينة أخبر من معه من القبائل الأخرى بأنهم لن يذهبوا للغزو وعلى كل من صحبهم من أجل المغنم أن يعود، وأخبر قبيلته خاصة بأنه يريد أن يخطف بعض جنود الأتراك ويأخذهم رهائن "لمقايضتهم بزائد السجين لدى الأتراك، وأنه لن يطلقهم حتى يطلق الأتراك زائدًا.

وكان القطار حينذاك قد سار من الشام إلى المدينة

* سبق نشرها في جريدة المدينة سنة ١٤١٨هـ.



المنورة[1]، ووضع الجنود الأتراك مخافر على طريقه. توجه الشيخ راشد مع قومه إلى محطة الحفيرة أقرب نقطة للمدينة، وأخذوا جنود الأتراك رهائن، وأرسل إلى باب عرب في المدينة المنورة يخبره بأن الجنود الأتراك لديه رهائن حتى يطلق سراح "زائد" من السجن.. ولم تمض أيام حتى أطلق الأتراك "زائدًا" مقابل إطلاق الجنود الأتراك الذين أسرهم "ابن تنباك".. فقال الشاعر هديب بن صوت، وهو من أعيان الأشدة، هذه القصيدة يذكر فيها القصة.

لي سجينٍ حالت البيبان دونه

قاعد كنّه على جمر الملايل

صاحت أمّه يوم قلّت كل حيلة

صاحت امّه ثم دَنينا الاصايل

أشهد إن الشيخ ما غيره دليلة

واشهد إن الفعل يكعَم كل عايل

لَجّت الدنيا عقب كون الحفِيرة

من فعول الشيخ هَوّلْت القبايل

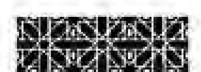
---

(١) من المعروف أن القطار العثماني اشتغل بين المدينة المنورة والشام خلال المدة من سنة ١٣٢٦هـ إلى سنة ١٣٣٤هـ، وهذا يفيدنا في تحديد زمن القصة (المؤلف).

وبالمناسبة فالشيخ راشد بن تنباك هو جد الأديب والأستاذ المعروف د. مرزوق بن صنيتان بن مرزوق بن راشد بن تنباك. وأسرة ابن تنباك من المشيخات المشهورة في حرب، حيث إنهم من أقدم شيوخ قبيلة الأشدّة من بني عمرو.

وقد حدثني الشيخ مريد بن هنود بن ربيق من شيوخ بني عمرو وشيخ قرية الريّان في وادي الفرع، فقال: إن الشيخ مرزوق بن راشد بن تنباك كان له أخبار مشهورة، وهو معروف في زمانه بأنه كان عقيدًا بارزًا.

ولمزيد من المعلومات عن هذه الأسرة وبعض شيوخها البارزين فإنه يمكن الرجوع إلى مجلة المنهل، س٤٧، المجلد ٤٢، الصادر في ذي القعدة ١٤٠١هـ، ص٦٦٥.



٥٨- من قصص ابن تنباك أيضًا

ومن قصص الشيخ راشد بن تنباك أيضًا أنه غزا بقومه، فجاءت إليه امرأة ومعها ولدها الذي كانت تلك الغزوة سرارته، والسرارة هي المشاركة الأولى للشاب في الغزو، فقالت أمه للشيخ راشد: هذا ولدي أمانة معك.. فغزى هو ومن معه، ثم كرُّوا عائدين إلى أهلهم، وبعد مسيرة يوم وليلة ناموا في آخر الليل، فلحق بهم الطلب وهم نائمون، فانشغل راشد مع البواردية في القتال دون الغنيمة حتى طلع الفجر، ورجع عنهم القوم الذين هجدوهم، وعند ذلك سأل عن الشاب وبحث عنه فلم يجده وعرف أنه قد ترك في مكان الهَجَاد، فصمم على العودة إلى مكان مبيتهم وإحضاره حيًا أو ميتًا لأمه، ورفض أن يعود غيره خوفًا من أن لا يجدَّ في طلبه والبحث عنه، وعندما وصل إلى المكان لم يجده قتيلاً، فتتبع الأثر، فوجد أثره يسير وحده هاربًا من الغارة، فقصه وقيد راحلته في المكان الذي وجد فيه الأثر لأنه لا يستطيع قص الأثر على الراحلة، وكان الوقت صيفًا وحمل القربة على ظهره، وبعد مسافة وجد أنه قد ألقى بندقيته عندما بلغ به العطش مبلغه، فأخذها وسار مع الأثر

حتى لحق به وقد أغمي عليه من الظمأ، فسقاه من الماء الذي معه، وحمله على ظهره مع البنادق والقربة وسار به إلى أقرب مورد يعرفه، فقد تمزقت أقدامه من الرمضاء ولم يستطع السير، وذبح له صيدًا وتركه، ثم سار إلى أهله وأرسل خيلاً تحضره إلى أمه. وقد قيل في ذلك شعر كثير في وقته، وسمي ذلك سَلْم ابن تنباك. حدث بعد ذلك أن خرج جماعة من القبيلة نفسها من ديارهم وادي الفرع متجهين إلى الحناكية بعد أن استتب الأمن في الحكم السعودي، وفي الطريق أضاع أحدهم راحلته وذهب يبحث عنها، فتركه رفيقه وسار إلى أهله، فعاتبوه على ذلك، وتذكر أحدهم قصة ابن تنباك، وقال: إن سَلْم الخوي عند ابن تنباك الذي يعرف ذلك ويحافظ عليه، فقال مسيعيد بن عواد المسروحي الحربي هذه الأبيات مداعبًا أخاه ومشيرًا إلى قصة ابن تنباك، يقول فيها:

يا راكب اللي كِنّها قايد الصيد

وان شافت اللقاف تبدي الحيودي

ما صدها الراعي بوسط المفاريد

ولا دقها بالشط زار القعودي

وامصلّحينه لين جات المباريد

وتطرب اليا حطّت عليها الشنودي

عز الله اني قاضب قول ابازيد

عز الله اني قاضبه بالعهودي

والله لادَوّر بَكْرتي من ورا البيد

لا من عميل ولا صديقٍ يرودي

لو دونها من ينقلون البواريد

ليا ارتخت يمنى خطاة الهبودي

ما شفتني يوم اطرد الذيب ويعيد

بين الحوَيْد وبين خشم النفودي

وان كان ما يرضيك ما قال ابا زيد

سوالف قدام حكم السعودي

حق الخوي عند الرجال البواليد

بسلومهم عَدًّا الخوي السنودي

سَلْمٍ لابن تنباك ذيب الاواليد

اللي ليا جا الضيق زبن الشرودي

فوق الظهَر شال الخوي والبواريد

ايلين وَرَّد به رهي العدودي

فرد عليه أخوه مسعد بالأبيات التالية مبينًا اختلاف الحال، فخوي ابن تنباك كان على نفسه خطر وهو في خوف وليس في أرض فيها أمان، أما هو فالحال مختلف، فقد عاشت الجزيرة في عهد آل سعود بالأمن والرخاء والأخوة وكلٌ أصبح آمنًا على نفسه وماله ولا خطر مثلما كان ذلك في الماضي. يقول مسعد بن عواد:

مفعول ابن تنباك عِلْم تواكيد

وانا شهيدك لا تدَوِّر شهودي

ألحق خوِيّه يوم حده حواديد

الحزة اللي جعلها ما تعودي

هَلِيك بين يديه ما له ملاديد

ما له صديق ولا تطوله ريودي

على الظهَر شال الخوي والبواريد

شاله دريك ووَرّده للعدودي

فعل لابوه وفعل رَبْع بواليد

هذي فعول مْعَرّبين الجدودي

لطامة العايل وسقم المعانيد

إلى اتقا خطو الشرود الهبودي

والاّ انت تمشي في مشاهيك ترديد

وقت الرخا تمشي ومشيك ركودي

عليـك حكـم مطـوعين المعانيـد

اللـي مْـسَوَين الهـدير العنـودي

اللـي مخلّيـن الحرايـر ملابيـد

ومعطين من غير الوثايق عهودي

مع وسط حرب مقلطين البغاديد

وسط الرخا تمشي سهود مهودي[1]



(١) من آدابنا الشعبية، منديل الفهيد، ج٧، ص١٩٢.

٥٩- قصيدة مفَضي بن وَلـمَان الأحمدي

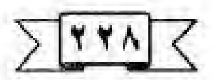
الله نشد يا حمود عن معرفة يوم

وعشر وثمان اسنين يا حمود جيران

هذا البيت المشهور كثرت حوله أخطاء الرواة واجتهاداتهم، فمنهم من جعله لابن رشيد، ومنهم من جعله للشاعر نمر بن عدوان. وأول من أخطأ في ذلك الشيخ عبدالله بن خميس، ثم تلاه من تأثروا بروايته[١].

والصحيح أن هذا البيت لرجل من الأحامدة اسمه مفضي بن ولمان الأحمدي، له قصة خلاصتها أنه نزح من قبيلته الأحامدة وأقام مع العَلَيَّان من شمر، وتزوج منهم، وكان أكبر أولاده اسمه حمود. وبعد أن أقام عندهم حوالي ١٨ عامًا وبلغ ابنه مبلغ الصبيان أي في حدود ١٢ سنة، حصل للأحمدي ما جعله يعزم على الرحيل عنهم والرجوع إلى أقرب ديار حرب، فنزل في وادي الحناكية مدة من الزمن، ثم حصل خلاف بينه وبين بعض جيرانه الجدد من حرب، فتذكر جيرانه العَلَيَّان من

(١) انظر: ديوان الشاعر الأسمر الجويعان العنـــزي، ص١٦٠.



شمر، وندم على مفارقته لهم وعزم على العودة إليهم، فقال مخاطبًا ابنه:

لا واهني يا حمود من فارق الدَّوم

نبـى عَرَبْنـا يـم اطـاريف رُمَّـان

يـا حمـود والله مـا علينـا بهـا لَـوم

ما استانس الاّ وسط نـزل العَلَيَّان

يا حمود كـني عنـدهم باشـة الـروم

وامْزوّدٍ وزنـي علـى كـل ميـزان

الله نشَد يـا حمـود عـن معرفـة يـوم

وعشر وثمان اسنين يا حمود جيران

يا حمود يظهر لك صديق من القوم

ويظهر من الرَّبْع الموالين عـدوان

...إلخ.

وللأسف فإن الرواة يضيفون تفصيلات أخرى ليست من قصص مفضي الأحمدي، وقد تأكدت من القصة عن عدد من رواة شمر القريبين من القصة، مثل الشيخ دبَيْس بن مهلهل من العليان من شمر صاحب قرية المعترضة في منطقة حايل، وكذلك

عن أحفاد ولمان الأحمدي، ومنهم حمود بن حمدان بن غانم الأحمدي ووالده حمدان، حيث يقيم الأخ حمود في مدينة الطائف حاليًا – أي زمن الطبعة الأولى لهذا الكتاب.

كما أكد هذه القصة الراوية الأستاذ إبراهيم اليوسف معد برنامج البادية نقلاً عن كل من:

١- دبَيْس بن علوي الشمري.

٢- الشاعر زبن بن عمير.

٣- ناصر بن فايز.

٤- منديل الفهيد.

٥- رضيمان الحسين.

٦- محمد الحمد العمري.

٧- عبدالرحمن العُمَري.

٨- الشاعر سويلم العلي السهلي.

وغيرهم[١].

---

(١) انظر: صفحة تراث الجزيرة الشعبي، جريدة الجزيرة، العدد ٦٢٥٢، الصادر في ١٢/٤/١٤١٠هـ.

كما يرويها على هذه الرواية الصحيحة كل من:

١- محمد بن ركاد الشمري[١].

٢- الأستاذ الباحث عبدالرحمن بن زيد السويداء[٢].

٣- الراوي إبراهيم الرديعان، وغيرهم.

أما سبب خلط أولئك الرواة فهو عدم التحقق وبعدهم عن مصدر القصة، فضلاً عن وجود قصائد مشابهة على نفس الوزن والقافية، منها القصيدة المنسوبة للشاعر نمر بن عدوان التي مطلعها:

البارحة فزيت من غيهب النوم

جاني حبيبي واختفى عقب ما جان

وكذلك رد جديع بن قبلان على نمر بن عدوان بقصيدته التي منها:

يا نمر ما صابك من الله مقسوم

الله بخلقه ماينٍ يا ابن عدوان

---

(١) انظر: صفحة تراث الجزيرة الشعبي، جريدة الجزيرة، العدد ٦٢٣١، الصادر في ١٤١٠/٣/٢١هـ.

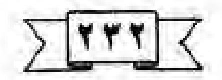
(٢) انظر: مجلة الحرس الوطني، إصدار شهر محرم ١٤١٠هـ، ص٨٦.

...إلخ[1].

ولحسن الحظ فقد ظهر مؤخرًا ديوان الشاعر نمر بن عدوان من قبل الباحث المحقق الأستاذ: روكس العزيزي، ولم ينسب تلك القصيدة لنمر بن عدوان، ولعل هذا يكفي لتراجع الذين يصرون على نسبتها لنمر بن عدوان عن روايتهم الخاطئة!

---

(١) انظر: صفحة تراث الجزيرة الشعبي، تعقيب بقلم: سليمان الصفير، جريدة الجزيرة، العدد ٦٢٤٥، الصادر في ١٤١٠/٤/٥هـ، وجريدة عكاظ، العدد ١٠٢٤٣، الصادر يوم الأربعاء ١٤١٥/٣/١٧هـ.



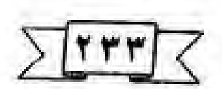
٦٠- من قصص الشيخ صنيتان ابن راجح وأشعاره

اشتهر الشيخ صنيتان بن محمد بن مسعد بن راجح، شيخ البدارين من حرب، بالكرم الذي هو سجية يفخر بها العربي، ومن أشعاره التي تصور ذلك، إنه في إحدى الليالي حل عليه بعض أخواله النواحل ضيوفاً، فأُشعمت النار في بيته كناية عن وصول ضيوف جدد، في حين ذهب هو يلتمس حطباً من جيرانه، وأثناء اقترابه من أحد البيوت سمع صاحب البيت يقول لزوجته: "لا، والله، إلاّ ضيَّع عياله وضاع!". وكان صنيتان في ذلك اليوم قد حل بساحته عدد من الأضياف منذ الصباح حتى المساء، وقام بواجب الضيافة لكل واحد منهم على حدة، فقال صنيتان أبياتاً منها:

قالوا: تضيْع، وقلت: يا الرَّبع ما اضيع
رزقي على مولاي ما اخْذٍ يمِنّه
يـرزقني اللـي عـالم بالتواضيـع
اللـي خلـق للـناس نـارٍ وجَنـّة
وان جيت راعي تجْرةٍ قال: ما ابيع
وكـم تاجـرٍ خسايري ربَّحنـه[١]

---

(١) رواية: الشيخ نايف بن هاجد ابن راجح.



٦١- الشيخ صنيتان ابن راجح وشهرته في تنقيد القهوة

اشتهر الشيخ صنيتان ابن راجح بفراسته النادرة في معرفة القهوة وتنقيدها، وله في ذلك قصص كثيرة، ومشهورة، ومن أشهرها قصته مع ابن باني صاحب بلدة ضَرِيَّة، وخلاصتها: أن بني عمرو نزلوا على ابن باني برئاسة الشيخ ضيف الله الذويبي وأخيه محمد، فدعاهم للقهوة، ثم دَعَى الشيخ صنيتان ابن راجح وأخاه صنت، ولما دارت القهوة في مجلسه ووصل الفنجال إلى صنيتان وشم رائحة القهوة تمنع من شرب الفنجال، فامتنع أخوه صنت كذلك، لأنه كان يراقب أخاه عادة، فإن شرب من القهوة شرب منها، وإن امتنع امتنع لعلمه بمعرفة أخيه بالقهوة. فلما امتنع صنيتان من شرب الفنجال وكفأه خلفه، غضب ابن باني، واشتكى على الشيخ ضيف الله الذويبي الذي كان حاضراً في المجلس، فغضب الذوبة - ضيف الله ومحمد - لأن نثره للفنجال طعن في قهوة مضيِّفهم. فطلب صنيتان منهم تفتيش الدلال، فأتوا بالمعشرة وهي الدلة التي تقدم فيها القهوة للرجال، وفرَّغوا ما فيها من القهوة على الأرض، فلم يجدوا فيها شيئاً، ثم أتوا بالملقمة، وهي الدلة التي تطبخ فيها القهوة، وفرغوها

فلم يلحظوا فيها شيئاً يعيب القهوة، فأتوا بالمصفاة وهي دلة أو إبريق تصفى فيها القهوة في بداية إعدادها، فلما فتشوها وإذا بآثار عنكبوت (شبث) متقطع وعالق في مدخل المصفاة، فقال صنيتان مخاطباً الذويبي: اشرب مرق، وأنا ولد محمد![1].

وله قصص كثيرة أخرى يضيق المجال عن استعراضها هنا.

وبالمناسبة فإن قصص تنقيد القهوة ربما تتشابه لوجود أكثر من شخص مشهور في معرفة القهوة ونقدها، ولهذا تتداخل القصص، بحيث لا تكاد تخلو قبيلة من شخص ماهر في معرفة القهوة، ولهذا يكثر الخلط بين القصص في هذا المجال، فقد تنسب قصص صنيتان ابن راجح لغيره، وقد ينسب له ما ليس له، كما حدث مع قصة علوش بن ظويهر العنزي في مجلس ابن رشيد، ومع أن قصة علوش بن ظويهر مشهورة عند عنزة، إلا إن الرواة أضافوا لها بعض الإضافات غير الصحيحية مثل القصيدة المنسوبة إلى محمد أبا الروس الذويبي مرة، ولحجرف الذويبي مرة أخرى، والتي منها:

---

(١) روى لي هذه القصة مفصلة الراوي: مسفر ابن حَبَّاب البدراني عن رجل من عتيبة شيباني حضر هذه القصة بنفسه.

تستاهل الكيف الحمر يا ابن وايل
أنت الذي تستاهل الكيف كله

لكن الذي يظهر أن هذه القصيدة حديثة النظم، لم تعرف لحجرف، أما محمد الذويبي فلم يكن شاعرا[1]، ولشهرة صنيتان في تنقيد القهوة قال فيه شاعر متأخر أبياتاً منها:

يستاهل الفنجال شارب صنيتان
اللي يْبيِّن ماخفى من عيوبه

وقال أيضاً مضحي بن سليمان السليمي الحربي قصيدة منها:

صنيتان بن راجح عسى الخلد مثواك
جنة نعيم وسقفها العرش فوقه
يشهد لك التاريخ في طيب مسعاك
مع الكرم والكيف نفسٍ شفوقه

---

(١) انظر: (القهوة العربية وما قيل فيها من الشعر، عبدالرحمن السويداء، ط١، ص٢٠٦).
وكذلك: (من آدابنا الشعبية، منديل الفهيد، ط١، ج٦، ص٢٠٧-٢٠٨).



٦٢- صلة الرحم

صلة الرحم وبر الوالدين من أوجب ما أوجب الله على المسلم، وهي من أهم مزايا بلادنا المسلمة بفضل الله، ومن القصص التي تدور حول هذا الموضوع ما حصل مع الشاعر غريب بن فهيد بن ناحل الحربي، حيث مرضت عنده والدته بعد أن طعنت بالسن، وأقعدها المرض وكِبر السن لمدة عشر سنوات، وليس لها من الأبناء والبنات إلاَّ غريب، فاعتنى بها ورابط في خدمتها ورعايتها إلى أن توفاها الله، وكان كثيرًا ما يشرح ظروفه لأصدقائه الذين يلومونه لعدم زيارته لهم، خاصة الذين خارج مدينة حايل، حيث يقيم غريب بن فهيد.

ومن ذلك ما قاله من قصيدة طويلة يعتذر فيها للشاعر مرزوق بن مبشر المزيني الحربي عن عدم استطاعته تلبية دعوته والسفر إلى الخرج، فقال:

واللي يَبى السجات يَمّك ولا نال
عَيّن ظروفه يسمحن له ويُافي
اظروف وقته يلطخن به على الجال
لطخة دلـي والسوَاني مقافي

وُضَلْع البلَيْهي[1] طارقه كنّه خلاَل

إمّـا بَـرَك والاّ جـدَاه الوقـافي

من عقب ما هو لاثقل الحمل شَيّال

حار القدَم به يا الرفيق السنافي

وَلَدْ عجوز ما لها غيره اعيال

ويـثني وراها لا يجيها الخلافي

ما اوفيت أنا الدّيّان مع دفعة المال

وقّعت أنا لْرَاع الجميل اعترافي

سبع وثلاث اسنين يا طَيّب الفال

والامر لله، ما على الله خافي

نطلب من المعبود يلطف بنا الحال

والله يعجّل بالفرج والعوافي

هو مخضر الريضان من عقب الامحال

من عقب ما تسفَى عليها السوافي

هو مخرج ذا النون من بحر الاهوال

في شجرة اليقطين فوقه لحافي

ويحلها يا طيّب العرف حَلاَّل

والا انت عرفك مع هَل العِرْف كافي

---

(١) الضَّلْع: المراد: ضلع البعير. والبليهي: المراد: به الجمل الحر.

وارجوك تقبل عذرنا يا ابو اهلال

والا انت دايم يا فتى الجود وافي

...إلخ. وله قصائد كثيرة بهذا المعنى.

وقد أعجب بهذا الموقف كثير من الشعراء، منهم الشاعر عبدالهادي بن عبيد الشمري، حيث قال القصيدة التالية لما علم بوفاة والدة الشاعر معزيًا له ومثنيًا على بره بها أثناء مرضها:

ماجور يا بُو فهَيْد ماجور ماجور

ماجور يا مْجدٌد اسلوم القداما

بالطّيب والمعروف شيّدْت لك دّوْر

بْدَرْب الرحم بَنَيْت أعلى مقاما

أشهد شهادة حق، ما نشهد الزور

يا الناحلي تحتق[1] لِبْس الوساما

في فعلكم يا الناحلي قلت: مشكور

والله ما ابْغَى من وراها مَرَاما

أمّك عشر اسنين وزيادة اشهور

أرخصت له مَالَك وُزَيْن الكلاما

---

(١) هكذا في الأصل، والمراد: تستحق ...إلخ.

عساه بالفردوس مع زمرة الحُور

والقبر يوضي ما يجيه الظلاما

أنته فعلت الصح ما جيت بقصور

فعلٍ فعلته بالوفا والتماما

فعلك شبيه اسمك لها رمز مذكور

يا قل جنسك يا عشير النشاما

أطلب عسى لك بذر واشروك واجذور

نواحلٍ خوالهم والعَمَاما

طِيْب النواحل بَيْن الاجواد مشهور

أقولها ما به علينا ملاما

يوم الزمان الشين به عسر واقصور

وانتم عطيتم كل عجفا سناما

وافعالكم يشتاق له كل مسطور

ليا طار عن نجل العيون اللثاما

وافعالكم تذكّر إلى نفخة الصور

وانا اقول الحق ما به حراما

وصلاة ربّي عد ما شعشع النور

على النبي اعداد وبل الغماما

٦٣- قصة ابن روضان الوهبي

أورد هذه القصة الراوية إبراهيم اليوسف نقلاً عن دُبَيْس بن مهلهل العلَيَّاني الشمري، وذكر أنها جرت على معتاد بن روضان الوهبي من الوهوب من قبيلة حرب حينما جاور بعضًا من العليَّان من قبيلة شمر على منهل ماء بضواحي (عيون الجواء) في منطقة القصيم، ومضى على هذه الجيرة ثمانية أشهر وهم في جيرة طيِّبة يتساعدون في سقيا إبلهم وأغنامهم ويتبادلون السوالف والأشعار ويجتمعون على القهوة، وعندما قرب موعد صرام النخل قال جيرانه (العليَّان) حنا نبي نرحل وننزل عند نخلنا وأملاكنا في جبال رمَّان وأجا. فرحلوا وبقي معتاد بن روضان الوهبي وحيدًا، وتذكر جيرانه وتلك الأيام الجميلة التي قضاها معهم، فعبَّر عن ذلك بهذه القصيدة موضحًا مكارم أخلاقهم وحسن جوارهم، ويذكر حادثة مشهورة لشيخهم (ابن سعَيِّد) معَشِّي الذيب في قوله:

يا من خبر قدّم بشاته على الذيب وعشّاه يوم انحت عليه الكلابي

أما القصيدة فهي:

البارحـة بالقلـب شـيب وتـشييب

والقلب من طاري التفاريق شابي

شـدّوا عربنا فـوق عـوج المـصاليب

أمس الضحى شفت الرحايل اتجابي

والرِّجْل قامت تحتـرك للمراقيـب

مـا هـو علـى اللـي زاهـي بالثيـابي

لأولاد علـي مُدَلّهِيـن الأجانيـب

مـع نجعهـم تلقـى ثـلاث النـوابي

عشران للطيّب ومن يشتهي الطيب

واللاّش من عصر الهلالات هابي

راحوا لغرس جدودهم بالشخانيب

يطلـع ولا تفجـر عليـه الجـوابي

غدوا بـروس مـشمرخات المراقيـب

غدوا بروس مشمرخات الهضابي

يا منْ خبر قدّم بشاته على الـذيب

وعشّاه يوم انحت عليه الكلابـي

هـذا الكـلام ولا بهرجـي تكاذيـب

وتلقى شهودي مع مثاني جوابي[1]

---

(١) نشرت هذه القصيدة في جريدة الرياض عام ١٤٠٩هـ، وفي جريدة الجزيرة عام ١٤٢٤هـ.

٦٤- من قصص الشوامين[1] من بني جابر[2]

الشوامين من بني جابر، من بني عمرو أهل وادي الفرع، كان لهم مكانة وشهرة، ولهم قصص كثيرة تدل على شجاعتهم وإبائهم.. وسوف أختار من قصصهم قصة جلوتهم من وادي الفرع، وكان ذلك في حدود سنة ١٣٠٠هـ.. وبداية القصة أن قومًا من مطير أخذوا رجالاً من البلادية وهم في وجوههم، فاتفق كبار بني عمرو على قطع العهود مع مطير، وعدم حمايتهم بأي حال من الأحوال، وعندما سمع عليثة بن نافع كبير الشوامين بكلامهم وعزمهم على ذلك، أبدى اعتراضه على مسألة إعلان الجناية المطلقة عليهم، وأراد استثناء ما يسمى بالثلاث البيض وهي الرفيق والجار والضيف، ولكنهم أصروا على قطع العواني مع مطير بسبب اعتدائهم، وشرعوا في كتابة الأوراق الخاصة بذلك وبمنع رجال مطير من دخول الوادي.. وقد عبر عن امتعاضه من هذا الإجراء القاسي بأبيات معبّرة منها:

---

(١) الشوامين واحدهم شاماني، من بني جابر، من ولد عبدالله، من بني عمرو، من مسروح، من حرب.

(٢) رواية: محمد بن نويفع الشاماني الجابري.

يقول العَود ابن شامان عَدًّا يوم جاشه ضاق

من اعلام[1] يتوق القلب يوم السمع يُوحِيها

يقولون اهل الوادي مكابرهم[2] تخط أوراق

يعَـوِّد يحـسبون إنـا عوانينـا[3] نخلّيهـا

وفي أحـد الأيـام جـاء رجـل مطيري مـن معـارف الـشوامين وطلـب منهم أن يكـون بـرفقتهم لحاجتـه إلى دخـول وادي الفـرع للامتيـار لأهلـه، لكـن قومًـا مـن بـني جـابر اعترضـوا قافلـة الشوامين، واعتدوا على المطيري تنفيذًا لإعلان الجناية على مطير ورفع الحصانة عنهم.. وكردة فعل عنيفة على الاعتداء على رفيقه الذي بحمايته، بادر رجل من الشوامين وهو صميدان بن عليثة الشاماني فضرب رجلاً من بني جابر فقتله، فاضطر الشوامين إلى الخروج من وادي الفرع واللجوء إلى مكان حصين خوفًا من الثأر، فنزلوا موضعًا يسمى الحِجْرية يتميز بوعورة أرضه.. ومكثوا في ذلك الموضع حوالي ثلاث سنوات، توفي خلالها عليثة بن

(١) اعلام: أي علوم، ويراد بها الأقاويل.

(٢) مكابرهم: أي كبارهم.

(٣) العواني: أي القوانين والسلوم المتعارف عليها.

نافع، فارتأى ابنه نويفع أنه من الأفضل الخروج من هذا المكان الضيق والابتعاد عن طالبي الثأر حتى تتم تسوية القضية خوفاً من وقوع المزيد من إراقة الدماء.. فارتحل هو وجماعته إلى ابن رشيد في حايل، وعندما وصلوا حايل قصدوا مجلس ابن رشيد وكان مكتظًا بكبار الشخصيات من شمر وغيرهم، فأراد نويفع أن يعرف ابن رشيد دون أن يسأل الحاضرين، فرفع صوته بهذين البيتين:

يا ابن رشيد محمد العبدالله　　سلام يا مِرْوي سنان العُود

اللي حكم بالسيف قوّاه الله　　ابن رشيد مْزبّن المطرود

فرد ابن رشيد على الفور: وعليكم السلام.. فعرفوه، وسلموا عليه، وعرّفوه بأنفسهم وبسبب مجيئهم.

وظل الشوامين عند ابن رشيد ما يقارب السنتين، قام خلالها شيوخ بني عمرو وعلى رأسهم الشيخ محمد بن سعد بن ربيق بحل القضية وإقناع المساطحة من بني جابر بقبول الصلح، فعاد الشوامين إلى قومهم. وقد صور نويفع بن عليثة ما جرى عليهم في القصيدة التالية:

سبع مِيَّة يوم وعدّتها ليالي ما قرينا الضيف من در الحلالي

غير ما ناكل بمكسور الريالي والمثل مثني على اللي يستدين

يا مْسَوِّيّة المثل هاتوا كماه مثل زل الذوب صافي من جناه

جابه الجنَّاي عالي مستواه جابه الجَنّاي من عالي القنين

يا خزاة ابليس يا قافٍ بنيته من ضميري يعلم الله ما شريته

عالي المرقاب يوم اني بديته ذروِ احقل من سبب كونٍ مكين

آه واوجلاي من همٍ كواني حط له في داخلي قلبي مباني

لو آبات الليل نومي ما هناني من هجوسٍ باحت السد الكنين

من علومٍ ما درت عنها السفالي عازبة عني انا واللي كذالي

كان خلوها لبين الرجالي مير راكزها على الله يا عوين

قال ابن شامان عدا في البتايل ثم غنى في حسينات المثايل

من ضميرٍ داخله فيه الملايل من حفاته غير حفات السنين

يا وجيه الخير انا معكم وداعة واشتروني مثل ما نشري البضاعة

باغي منكم بجاه الله سباعة باغي بجاه الله ثم جاه الخيرين

علمكم يااللي تجي فيه الحفاه يوم ربي حط دينه من ولاه

يا جماعة خير من يحرز دواه من يداوي العلة اللي بالجبين

والله انا يا جماعة ما نوينا ذبحةٍ لعيال أبونا من يدينا
لين جانا بُطْلهم مايل علينا عـذر لله ثـم للـي غـايبين
يوم اغني بالمثل ما بي هواه مستشيك القلب من كثر الغواه
والخراب اللي دخل جوف البناه والامانة مخطرة عند الامين
آه واشيباه من عوج الطلايب يوم يبرك في نحرها كل شايب
ثم راح الحق عند اهله نهايب مثل رافد والرجال الاولين
كم غلامٍ تعجبه سنحت شبابه في احتكام الهرج ما يحسن جوابه
يحسب ان الحق له والحق اصابه واسعيد اللي يجي قلبه فطين
يا الله اني طالبٍ منك الهدايه رب تهديني وتهدي لي ظنايه
لا يجي فيهم مع الوالي عصايه رب تهديني وتعطيني اليقين

وله قصيدة أخرى موجهها إلى أخواله وهم الزواكية من بني جابر:

يا راكبٍ من عندنا فوق ضامر
حرٍ وسيع الجيب والخصر شامر
عينه كما القنديل بالليل سامر
تشدي إشعال الجمر عقب المواشاه

لـولا قياده مـن سلاسـل حديـدي

ركض النضا ينقص وركضه يزيدي

يقـرّب المطـراش لـو هـو بعيـدي

لـولا قيادٍ فيـه مـا أحدٍ تـمهـزاه

لجـم عليـه الربـع ربـعٍ مفـاليح

الربعـه اللـي يكثـرون التـصابيح

وهـو عـنهم يأخـذ الحـزم تجميح

يشرب رديفه وأول الجيش ما جاه

يلفـي خـوالي يـا خـوال اللزومـي

ألفوا على ربعي وسـووا علـومي

خلتني الـدنيا كمـا الغـصن يـومي

واليـوم مـالي غيركـم واترجـاه

يـا غـير أعـدي في علـو الرقايـب

ودموع عيني فوق خدي سـكايب

وأسـأل وانـشد مذريـات الهبايـب

ورّي لـي أنسام الهبايب موصـاه

في ديـرة الاجنـاب مـالي تـمـدّي

صابر على مزحي وغلبي وجدي

واعـيني اللـي يـم حيـي تلـدي

وآعـيني اللـي مـن جهـنم مـشقاه

وبالمناسـبة فـإن عليثـة بـن نويفـع مـن الشخـصيات المتميـزة وصـاحب سـيرة تـشبه سـير الأفـذاذ مـن أشـراف العـرب، الـذين عُرِفـوا بسمو الأخـلاق، وعـدم المبيـت عـلى الـضيم، فـضلاً عـن الـشجاعة والإقـدام، إضـافة إلى شـاعرية معَبّـرة تـصور معاناتـه وتطلعاته ونفسه التواقة إلى معـالي الأمـور. وقـد خلـف عليثـة بـن نويفـع عـشرة مـن الولـد، ورثـوا صـفات والـدهم، وبالـذات أكـبرهم: نويفـع بـن عليثـة، ثـم مطـير بـن عليثـة، ولهـم قـصص وبطولات يضيق المجال عن تتبعها. كما برز منهم أيضًا عبدالله بـن نويفع بن عليثة، الملقب بـ: "الأويفـة" تـصغير آفـة، وذلـك بسبب شجاعته وشاعريته الباهرة مع صغر جسمه، وله قـصص وقـصائد تحتاج إلى كتاب مستقل.



٦٥- من قصص عبدالمحسن الطيّر البدراني

عبدالمحسن بن حسن بن عبدالله الطيير كبير البدارين في وادي الفرع، كان رجلاً كريماً، وكان له قصر في المضيق وأملاك، وله بيت شعر خارج نزلة المضيق عند إبله، وقد اعتاد جماعته أن يزوروه كل ليلة للقهوة والسمر عنده، وفي إحدى الليالي أعد قهوته، وجلس ينتظر جماعته، لكنهم تأخروا تلك الليلة، ولم يحضر منهم أحد على غير العادة، وخاصة أحد أقاربه وأصدقائه الخاصين الذي لم يعتد منه إخلاف تلك العادة، فظن أن واشياً ربما وشى بينهم تسبب في عدم مجيئهم، فقال مخاطباً ولده عبَيْد[1]:

يا عبَيْد دق النجر واظهر عويله	دقه لْسَرَّاي العِشا لين يوحيه
البن الاخضر يوم احَلّي سليلـه	والزعفران اللي مصَفّيه راعيه
يا ويل هَرَّاج القَفا من غليلـه	مخبور ما فينا ومخبور ما فيه
وابوي وَصَّاني على مجلسي لـه	واللي عليه ابوي باغٍ اسَوِّيه

وعبدالمحسن الطيّْر هذا له أشعار وقصص أخرى، لكننا لم نعثر على من يحفظها.

---

(١) رواية: الشيخ إبراهيم بن عبدالمحسن الطيّْر.

٦٦- قصة عليان بن غتر

حدثت هذه القصة عام ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م، وذلك أن عليّان بن حماد بن غتر من بني علي من حرب، كان أهله يقيمون في مضارب بادية الكويت، فنزل ومعه حوالي خمسة أو ستة أشخاص لإحضار المؤن لأهلهم من الجهراء، وكان من ضمن رفاقه بادي المشيعلي من بني عمرو، من حرب، ومرزوق بن سلامة المطيري، وغيرهم.

وعندما حملوا جمالهم بالمؤونة وخرجوا من الجهراء باتجاه أهلهم اعترضتهم مسلحتان عراقيتان، كانت إحداهما بقيادة رجل اسمه مرزوق بن لاحم، والأخرى بقيادة بدر ضيف. فما كان من عليان ومرزوق ورفاقهما إلا أن أوقفوا جمالهم وبَرَّكوها بأحمالها.. وعندما اقتربت المسلحتان منهما طلب قائداهما من أهل القافلة أن يسلموا أنفسهم ويتركوا الجمال وما عليها. لكن عليان بن غتر رفض، وقال مخاطبًا العراقيين: "نحن داخل الأراضي الكويتية، ولا يحق لكم التعرض لنا!..".

ولأن العساكر أصروا على طلبهم بعنجهية وصلف لم يلبث أن بدأ إطلاق النار بين الطرفين، وتمكن عليان من إصابة الرشاش

ومشغله فأسكته، وعندما ترجل بعض العسكر عن المسلحة لمهاجمة عليان وأصحابه، بادرهم عليان بإطلاق النار عليهم، وقتل اثنين منهم وأصاب آخر، ثم هاجم الدورية الأخرى حتى عطل رشاشها، ولأن المناوشة حدثت في آخر النهار، فإنه لما حل الظلام تفرق رفاق ابن غتر وتخلوا عنه في جنح الظلام خوفًا من وصول تعزيزات عراقية، ولم يبق معه إلا بادي المشيعلي، وقد كتب الله لهما النجاة ولرواحلهما لم ينقص منها شيء.

وقد انتشر خبر عليَّان عند أهل الكويت، ولما وصل الخبر إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح حاكم الكويت آنذاك، طلب عليان ووالده، وأثنى على صنيع عليان وشجاعته، وأكرمه، وقربه، فأصبح من رجاله منذ ذلك الحين.

وقد اشتهرت بطولة عليَّان بن غتر، وقيل فيها أشعار كثيرة، منها قول ابن ضرباح المطيري من أهل الكويت:

اللي يَبَى المدح والنوماس   يفعل مفاعيل ابن غتر

ترى المراجل وعز الراس   بارْخاصة العمر بالعسر

كما أثنى علي بن غتر على أخيه عليان بالأبيات التالية:

شيْب عيني من نهار مضى عقب العصر

واوجودي ليتني حاضرٍ تالي النهار

يوم دقت مدافعهم وضابطهم أمر

واشتعل ملح المشوّك تقل لهيب نار

نحمد الله منهم الدم في القاع انتشر

من عضيدي ذاقوا الموت قصاف العمَار

أسلموا عقب العزاوي بصوغات السّطَر

والبخيت اللي على الرجلين ثار



٦٧- قصة شجاع الذويبي

وهذه القصة منقولة عن صاحبها نفسه رحمه الله، وعن ابنه ذعار بن شجاع، وهي مشهورة لدى رواة بني عمرو.

وأما صاحب القصة فهو: شجاع بن عواد بن فلاح الذويبي توفي سنة ١٤٠٦هـ عن عمر يناهز الـ١٠٠ عام.

والقصة جرت في حدود سنة ١٣٣٥هـ، ومفادها ما يلي:

أن شجاع الذويبي أغار هو وبعض فرسان بني علي من حرب على إبل عتيبة في نواحي الدوادمي، فحصل بينهم وقعة مع بعض فرسان عتيبة، فأصيب حصان شجاع الذويبي وكانت الواقعة في آخر النهار، ولم يتمكن رفاقه من إركابه، فكمن في جبل قريب ولم يعلم العتبان عنه شيئًا، إلى أن أظلم الليل ثم تسلل إلى بلدة الشعراء، ونزل في ضيافة أميرها وبات عنده، وفي صباح اليوم الثاني صادفه الحزمان من عتيبة عند راعي الشعراء، فنووا الإمساك به إذا خرج من مضيفه، لأن لهم إبلاً عند بني عمرو.

ولما خرج من الشعراء احتال عليه الحزمان وأسروه وأخذوه رهينة مطالبين بإعادة الإبل التي عند جماعته.

وقد رفض بنو عمرو إعادة الإبل في البداية مستغربين هذا التصرف من الحزمان، حيث لم تجر العادة بأن يمسك رجل بهذه الطريقة، بل إن الإبل تسترد بالقوة كما أخذت، أو تسترد عن طريق التثوير إذا كانت بوجه أحد القبيلة.

ولذلك فقد تجاهل جماعته طلب عتيبة في البداية ولم يستجيبوا لنداءات شجاع الذويبي يطلب إعادة الإبل وإطلاق سراحه.

وبقي شجاع في أسر عتيبة مدة طويلة أحال الحزمان خلالها جنوبًا حتى وصلوا إلى نواحي الحوطة والحريق جنوبي نجد.

ودامت مدة أسره حوالي ثلاثة شهور، وليست عاماً كاملاً كما ورد في رواية الحزمان المنشورة بالجريدة. وقد قال شجاع في ذلك أشعارًا كثيرة، منها قوله:

يا ضيقتي صَكّت عَلَيَّ الضلاعين
يـا ليتنـي يـم الـشفا بالبيانـي

يـا كثـر دمـعٍ فـاح يـسقي قطـيعين
والقلب من بين الضماير كواني

يا اهل النضا خوذوا عليهن تقارين
ثـم انحـروا بظهـورهن يـم ابـاني

تلفي بيوت اللي له الضيف عانين

بيوت ربعي بَيّنة بالمباني

بصحونهم يرمون حِيْل وخرافين

ياما شبع بصحونهم من هْدَاني

وُصِح للعمور إن جيت قضَّاية الدَّين

اللي يخلّون الصَّعَب مطوعاني

واستفزع البيضان هم والغيادين

اللي يشدُّون الشوَش باليماني

وُعَلّمْ ترانا من ورا العِرض مِقْفِين

لا والله إلاّ رحت يم اقحطاني

أقفوا بي الحزمان هم والغضابين

واتل قلبي تل حبل السُّوَاني

بالحبس مربوط ثمان وثلاثين

ما منهم اللي زارني في مكاني

...إلخ، وهي أطول من ذلك.

ولما وصلت هذه القصيدة إلى الذوبة قاموا بإعادة الإبل وإطلاق سراح الذويبي.

وعندما كان شجاع الذويبي مربوطاً عند عتيبة كان يحصل بينه

وبين بعض شعرائهم بعض المحاورات والمفاخرات، ومن ذلك ما قاله الشاعر غزاي بن حَلِيمة العتيبي الذي قال لشجاع في إحدى المرات يذكره بأنهم سيذهبون به للجنوب بعيدًا عن ديار قومه:

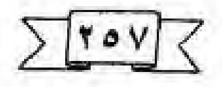
باكر تـرَى درب الحمَيْمَـة نمـرّه
يـم الحريـق ويـم هـاك الخشومي
وشوقك ورا وادي الرمـة في مقـرّه
مع درب أبو هندي[1] مْنَجّي الفحومي

مـا عـاد ياصـل دارهـم كـل حـرَّة
مـن دونهـم قـومٍ ورا سـد قـومي
وعـشيرتك ثـوب المجَـزَّع تجـرّه
وانتـه تـرادي بالحديـد المخـدومي

فرد عليه شجاع:

ابـن حليمـة وش بلانـي بـشرّه
وش مُودِعه يبحث عَلَيْ العلومي
ربعـي يجـون بمقرعـات الأصـرّة
واصَل دياري فوق حمرا ردومي

(١) المقصود: الشيخ ناهس الذويبي.



وقبيلنا نِرْكب عليه المَعَرَّة

ويدي عليه من الليالي ثلومي

خل المدُوح لناطحين المضَرَّة

والاَ انت شاوي تحُوش البهومي

وقال ابن حليمة أيضًا في مرة أخرى:

شجاع بَذَيْت العرب وانت بقيود

وش عاد لو انك من المطلقينِ

أشوف حالك ناحلٍ كنّه العُود

واعزتي لك يا مْرَوّي السنيني

وَجْدِك وجود اللي عن الحاض مطرود

اللي عن المشرب حَدَوه القطينِ

فرد عليه شجاع:

كان انت رابطني على شان مفرود

حِنّا نقسّم بوشكم كل حينِ

وكانك تعَزّز لي مْوَرىً لك الزود

عاين شيوخك عند ذيب البطيني

نجيك فوق الخيل في صمْع وافرود

وكم واحدٍ من فعل ربعي حزيني

ومما قال شجاع أيضًا يستحث جماعته:

وجدي وجود اللي هزالٍ سوانيه

الزرع صَرَّم وانهدم جال بيره

والاّ وجود اللي رديفه يناديه

بَيْن الرجا والياس وَسْط الجريرة

يا طير ما تاخذ جوابي تودّيه

لزوم مشعل[1] عَلّمه بالسريرة

والاّ على محسن[2] إلى جيت ناصيه

ثم عَلمه لين يتساقا ضميره

والله لو انه من حَدَيْكم ما اخلّيه

لا اجيبها في طِيْب والاّ جهيرة

واللي يعاديكم لك الله نعاديه

واجيه توّي ما استمع للمشيرة

---

(١) مشعل: هو أخو الشاعر.

(٢) محسن: من الذوبة أيضًا.

الحر ما يصبر على المَيْل يحفِيه

والعين ما ترقد والاخرى سهيرة

وبعد أن أكثر من هذه القصايد قام الذويبي وجمع الإبل وأعادها، وتم اطلاق سراح شجاع، وانتهت هذه القضية التي لم يسبق لها مثيل بين عتيبة وحرب.



٦٨- في رثاء الشيخ مقحم بن حباب ابن ربَيق[1]

الشيخ مقحم بن حَبَاب بن عوض بن هنود ابن ربْيق، من مشاهير شيوخ الربَقة، عاصر حوادث دخول قوات الملك عبدالعزيز للحجاز عامي ١٣٤٣هـ و١٣٤٤هـ، وعينه الإمام شيخًا على الرَّيَّان وما حوله في وادي الفرع.

وكان رجلاً مسددًا وعرف عنه الكرم والتواضع، والإخلاص للملك عبدالعزيز ورجاله. ولما توفي رحمه الله سنة ١٣٦١هـ، رثاه أحد جماعته وهو ذوَيْخ بن ذياب بن علي بن مبارك [ابن ثامرة] الربيقي، بقصيدة لم يحفظ الراوي منها إلاّ الأبيات التالية:

واشيخنا اللي مَزبنٍ للمخيفي ... سِقم الحرِيب اللي عليه الشفاتي

قلبه لجاره والمسَيَّر نظيفي ... يا عيد أهل عُوص النظا الساهراتي

النجر في بيته، وبيته منيفي ... حِسه وحِس القهوجي ما يباتي

واشيخنا اللي باسطٍ له مضيفي ... ما حَسَّب بماله عن الموجباتي

بيته على درب القوي والضعيفي ... يوم العفون بيوتهم مغلقاتي

---

(١) رواية: حامد بن حمود بن فضا الربيقي العمري – رحمه الله– (مقابلة معه في منزله بالمدينة المنورة يوم ٤ شعبان ١٤٢٢هـ).

٦٩- قصة أبو عيد العتيبي مع بزيع بن ربيق[1]

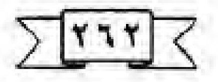
وذلك أن رجلاً من عتيبة تعرضت قبيلته لغارة من ابن رشيد، أو غيرهن فسلم برقبته هو وزوجته وأطفاله، فهاموا في الصحراء حتى وصلوا إلى نزل الشيخ بزيع بن حمد بن ربيق، من بني عمرو، من حرب، ولم يكن مع العتيبي إلاّ زوجته وابنه الرضيع، وأقام معهم ثلاثة أيام، ولا يعلم أحد بقصته، فقال بزيع لنساء القبيلة: اسألن المرأة عن القصة، فإذا كانوا ضيوف حياهم الله، وإن كان لهم غرض أو حاجة يبدونها. فسألن النساء المرأة، فقالت لهن: إننا تعرضنا لغارة غاشمة سلب فيها حلالنا وقتّل رجالنا فنجونا بأنفسنا إلى أن وصلناكم.

فعندما علم بزيع أبلغ جماعته بالحال، فأمر بأن كل شخص ينزل من بيته فليج وذرَى، حتى يبنونه لجاره بذراه، وبنوه في الحال، وصاح لجماعته وقال: راعي الإبل يأتي بخلفه، وراعي الغنم يأتي بشاة حلوب.

وبقي أبو عيد مع جيرانه سنين طويلة، ويروَى إنه لما عاد لقبيلته، كان أولاده سبعة، وهم سبب رجوعه حين قالوا إننا لا

---

(١) رواية: حامد بن حمود بن فضا الربيقي.



نعرف قبيلتنا، ونريد أن نقيّظ عندهم هذا القيظ وإذا طاح الحيا نعود لجيراننا. وعندما حل الموعد رفض الأولاد الرجوع، فتذكر والدهم جيرانه وزاد حنينه لهم وفاضت قريحته. وهو أبو عيد من الروقة. فيما يبدو إن اسمه عياد، حيث قال:

الصبح ابدِي قدمكم في خزازي[١]
أظِن دون سْوَاج[٢] تزمِي مظاهير
أهـل بيـوت شيـّدَن بالنـوازي
يبيـّنن ارواحهن للخطاطير
يا عيد أنا بَدْعي[٣] لهم بالعزازي
ذباحة الكبش الضحى للمسايير
يـا راكـب اللـي كـنهن الجـوازي
القفـل[٤] حـانيهن سـواة البـواكير

---

(١) أبدِي: أي سوف أصعد. وخزاز: جبل من أشهر جبال نجد يطل على بلدة دخنة من جهتها الغربية، وهو على بعد ٦٠ كيلاً تقريبًا جنوبي مدينة الرس بالقصيم.

(٢) سُوَاج أيضًا جبل معروف في ديار حرب إلى الجنوب من مدينة الرس.

(٣) بَدْعي: أصلها: أبا أدعي، والمراد: سوف أدعو.

(٤) القفل (بفتح القاف وإسكان الفاء): أي السفر، ومنه القافلة.

ينـصن شيـخ كلمـا جـن فـازي

بـزيع شـوق اللـي نهوده مزابيـر

ولد حمد ما هو ضعيف المهازي

في ريعتـه تـشبع طـوال الـدناقير

يـا مـا عطـوا مـن مهـرة بـالحَرَازي

يعطون غير الخيل خلفٍ مصاغير

الاجـنبي[1] في دارهـم مـا يهـازي

يـمـشي بعـز وزايـد العـز تقـدير

(١) الأجنبي: المراد بها الغريب.

٧٠- سالم العوفي يثني على الدراويش البدارين

الأبيات التالية قالها سالم بن نعيمان العوفي الحربي، يثني على الدراويش من البدارين، من حرب، وكان جارًا لهم عدة سنوات، وهم ذوي شدَّاد من ذوي مرزوق من الدراويش، وقد عرفهم بحسن العشرة والجيرة، واحترام الجار، والحفاوة بالضيف، والكرم الزائد.

وقد حدث أن زار قريبًا له، فلم يجد منه البشاشة والحفاوة التي كان يجدها عند الدراويش رغم القرابة بينهما، فتذكر ذوي شداد ومجالسهم وما يجده فيها من الترحيب والإكرام، فقال قصيدة معبرة في وصف ذلك الموقف والثناء على من يستحق الثناء، وفيما يلي بعض أبياتها:

ليا ضاق صدري رحت يم الدراويش

اللي مجالسهم لها قابلية

أهل الكرم وأهل القلوب الهشاهيش

طبعٍ لهم ما طيبهم غير ليَّه

تقل على كلمة (هلا بك) معاطيش

ولا يدرقون الطيبة بالردية

لـضيوفهم مـا يقـدّمون العـراميش

فطَـاح حِيـلْ، ودلّـةٍ شاذليـة

يوم الـردي ما يقرِي الخال بـالعيش

لـو أن خيره كبير هضبة طمية

يعـد رزقـه بالهلـل والتقـاريش

كـامش علـى دنيـاه كمـش الحدَيَّـة

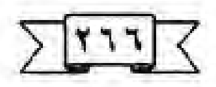
ورزقي على اللي ينهض الطير بالريش

مقـسٌم الأرزاق رب البريـة

وهي أطول من ذلك.

والذين أثنى عليهم هم ذرية شداد بن رشيد بن عبدالله، من ذوي مرزوق، من ذوي سليم، من البدارين، من حرب. وأبناء شداد بن رشيد هم: محمد وصليبان وصالح وجديع وأبناؤهم.





٧١- قصة وقصيدة بنت ابن راجح

الشاعرة الجازي[1] بنت الشيخ صنيتان ابن راجح شيخ البدارين، من بني عمرو من حرب، تزوجها ابن نيف من أعيان بني علي من حرب في المدينة، وهم سكان حي العَوَالي في المدينة، وابن نيف من أعيان أهل العوالي المشهورين بالرجولة والكرم، لكنها لم تألف حياة المدن ومنازلها المحاطة بالجدران والأبواب من كل جانب، وهي التي نشأت في حياة البادية وفضائها الفسيح، فتذكرت مرابع أهلها في نجد، فتمثلت بهذه الأبيات في أحد الأيام، وكان زوجها يسمعها دون أن تشعر، أو أنها أرادت أن تسمعه رأيها، فما كان منه إلاَّ أن لَبَّى طلبها، فأرسلها إلى أهلها معززة مكرمة، والقصيدة هي:

يا من لقلب كن في داخله نار
نار الشوِيط بعامرات الهبايب
عسى المدينة ما تعداها الامطار
حطّيت فيها واصبح الراس شايب

---

(١) أفادني ضيف الله بن حهز بن راجح أنها توفيت سنة ١٣٨٦هـ.

صَكوا علَيَّـهْ بـين ضلعان واجدار

مثـل الـربيط اللـي بعيـد القرايـب

يا من يْدَنّي لي من الزمـل مزعـار

أشقح من القعـدان مَشيه نهايب

أبـا اتنـَحَّر دار شبَّابــة النــار

عمـي وابويـه ناطحيـن النوايـب

لـو كـان شوقي للمواجيـب صبـار

مـا هـوب مثبـور يبيـع الصلايـب

يفـرح إلى جـوا ربعتـه لـه بمسيار

وان غاب وصاهم ليا صار غايب

يا رب عِضني في عشيري وابا اختار

قرمٍ يفك الجيش يوم الحرايب[1]

وهي هنا تكرر قصة ميسون من بادية قبيلة بني كلب زوجة معاوية بن أبي سفيان التي لم تجد سعادتها في قصر الخليفة، فعبرت عما تعانيه من ضيقها بحياة المدينة واشتياقها لحياة البادية التي ألفتها، فقالت:

---

(١) هذه القصيدة نشرها منديل الفهيد في كتاب: من آدابنا الشعبية، ط١، ج٢، ص٥٠، ولم يذكر الفهيد اسمها، لكنني استفدته من الشيخ نايف ابن راجح.

لبيــت تـخفــق الأريـاح فيــهِ

أحَـبُّ إلـيَّ مـن قـصرٍ منيــف

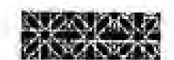
وبكـرٌ يتبـع الأضـعان صَـعْبٌ

أحـبُّ إلـيَّ مـن بَـغلٍ زفـوف

وكلــبٌ ينبح الأضيـاف دونـي

أحـــبُّ إلـيَّ مــن قــط أليــف

وقد غضب معاوية من قولها، وأرسلها إلى أهلها.



٧٢- من قصص الشاعر عبدالله الأويفة

هو عبدالله بن نويفع بن عليثة بن نافع الشاماني، من بني جابر، من ولد عبدالله، من بني عمرو، من حرب. والأويفة: تصغير آفة، لُقب بذلك لدهائه وقوة شاعريته، مع صغر جسمه. والتصغير في اللغة العربية كما يأتي للتقليل؛ فإنه يأتي للتضخيم كما هو الحال هنا، ومثاله قول الشاعر العربي:

وكل أناس سوف تدخل بينهم دُوَيهية تصْفرُّ منها الأناملُ

ولد الشاعر عبدالله الأويفة في أول القرن الرابع عشر الهجري في بادية المدينة المنورة، وعاش شطراً كبيراً من حياته قبل توحيد البلاد، حيث الاضطرابات والغارات والثارات، ثم أدرك ظهور الإخوان وعنفوانهم ضد خصومهم، ثم أدرك مرحلة الاستقرار والأمن في العهد السعودي الزاهر. وعاش حتى هرم وفقد بصره في آخر حياته، إلى أن توفي في حدود سنة ١٣٨٧هـ، رحمه الله وعفى عنا وعنه.

اكتوى الشاعر الأويفة منذ نعومة أظفاره بنيران المعارك القبلية، ثم اصطلى بنار الإخوان، وكان شجاعاً لا يرف له

جنان، ولا يرتخي منه بنان.. وله قصص كثيرة ومواقف طريفة لا يتسع المجال لذكرها، لكننا سنذكر بعضها.. فمن شعره الذي يدل على شخصيته الأبيَّة، وهمته العالية، حيث لا يقف في أمنياته عند مغريات الشباب والتغزل بالفتيات رغم ما يعانيه من ود معشوقته، لكنه يتمنى أن تكون له ذلول أصيلة توصله بني عمِّه الذين ابتعد عنهم، وأصبح يتوجد عليهم ليل نهار، حيث يقول:

يـا مـن لقلـب وَلّعــه ود مخلـوق

توليـع نـارٍ ولّعـت بالفتيلـة

مـن شـافها لا تامنونـه عـن البـَوْق

والبـَوق والله مـا يعـز القبيلـة

واليوم أنا حافي وفي رجليَّهْ ارهوق

يا رب تعطيني من الهجن أصيلة

مَيـَّزت واليا كـل مطرود ملحـوق

وان الـمنى زاد القلوب الهبيلـة

وانـا هَـوَاي الـرَّبع حمّايـة النوق

وان واجهوهـا في نهـار الحفيلـة

عِزّي اليا من اعتزى كل صعفوق

ثـم ارتـدى حـظ الوجيـه الذليلـة

أهل الدلال اللي بها البن مفهوق

وابهارهن الهيل والجنزبيلة

ومن قوله يصف شدة الحر، وقسوة حياة البادية في وقته:

سهيل والمرزم تجي له ملاهيب

إن كان ما الله بَرّده بالخريفو

تلقى وسومه فوق عوج العراقيب

اللي يشيلن القوِي والضعيفو

وانا إلْيَا شانت علَيّ المشاريب

ازبن على ابن سعود والاّ الشريفو

قدّامنا حي يويق المراقيب

ولا بدّنا مما قِدِم ، يا لطيفو

ومن شعره في المعاناة ما قاله يشكو من التناحر بين الأقارب، كما يشكو الدهر والجدب ويطلب المولى أن يبدل الحال ويفتح أبواب رحمته لعباده بإنزال الغيث، ويسمونه "الرجوع"، تفاؤلاً برجوع الأمطار والخصب والنماء، كما يشكو إرغام البادية على نزول الهجر الذي مارسه الإخوان في بداية توحيد البلاد، لكنه في آخر الأبيات يوصي ابن أخيه عوض بالتمسك بالأخلاق الفاضلة، ليحافظ على سمعته لأنه سيكون حديث المجالس إذا

غاب عنها:

من عَيّن الجِنّا لراسي بَعَد شاب
مـن عَيـّنه يا عـارفين الـسنوعي
اللـي مـشيِّبه الـردَى بـين الاقـراب
اشوف بعيوني وتوحي اسمـوعي
لو الجماعة يا عوض قوم واصحاب
القرم ما يرضى عليك الهزوعي
اليوم ما يَمْلَى القدَح كل حَـلاَّب
والصقر يطرحه الحمار النكوعي
الهجـرة اللـي كلـها شـر واسـباب
واللي حكم بالسيف حكمه يروعي
وعـزي لبيـت مـا يجَـوِّد بالاطنـاب
وعزي لمن جا بالمذاهب دنوعي
لا بد من هَيْض المجالس ليا غاب
وكثر العَمَس ما فيه غير الدموعي

وله من شعر الرثاء قوله يرثي أخاه مُطَير بن نويفع:

يا العين عَيَّنتي وديع الركايب نمر الفهود اللي يحوش الجميلة

أنت ما عينتيه عساه طايب عقب غليلٍ بالحشا مستشيله

لا والله الاّ من ترجّاه خايب واللي يبي يرجيه واعزتي له

وقال أيضاً في رثاء أخيه مطير بن نويفع مخاطباً إبله المسماة الظبيَات:

راعيك يا ظَبَيْة قعد في المداهيل

في الوادي اللي مربعه ما يمِلْك

حوزي عن الوادي وراعي جهاجيل

وابكي على راعيك دقك وجلّك

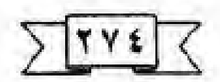
ومن ذلك أيضاً قوله في رثاء الشيخ راشد السحيمي شيخ السحمان، من عوف، من حرب، وكان راشد السحيمي قد سعى في إخراجه من سجن الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم عندما غضب عليه وسجنه أيام إمارته للمدينة قبل سنة ١٣٥٦هـ:

البارحة ثارت علَيّ الحلامي

ومن عقبها كثرت علَيّ الهواجيس

وجدي على راشد وجود الظوامي

اللي عن الما مبطيات مساديس



والله يـا لـو ان الـسحيمي اخمـامي

ما ابكي على راشد بعيد المناطيس

اليـا ركـب في الجيش كنـه اقطـامي

مْـدَرعات وكـل ابـوهن ملابـيس

وجدي على راشد وجود الظوامي

ومن عقب راشد من يفك المحابيس

وختاماً ؛ فـإن هـذه لمحات سريعة عـن شـجاع فاتـك وشـاعر مفـوَّه، عـانى في حياتـه مـن شظف العـيش ومرارة الحيـاة ، عـاش بعيداً عـن الإعـلام ، فـضاع معظـم شعره ، ولم يأخذ مـا يـستحقه من الشهرة ، رحمه الله وعفى عنا وعنه.





كشافات الكتاب



(١) كشاف الأعلام

●●●

(٢) كشاف الأسر والقبائل

●●●

(٢) كشاف المواضع

●●●

(٤) كشاف المصادر والمراجع

١- **أبطال من الصحراء**، محمد بن أحمد السديري: الناشر: بدون، سنة الطبع: بدون.

٢- **الأدب الشعبي**، عبدالله الزامل، جمعية الثقافة والفنون بالرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٣- **أعذب التقاسيم من أشعار ولد سليم (ديوان شعر)**، تأليف: سالم ابن رباح المطلق، مطابع البادية بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤- **حداء الخيل**، تأليف: أحمد العريفي، الطبعة الأولى.

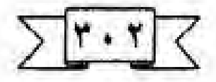
٥- **حداء الخيل**، تأليف: د. سعد الصويان، طبعة ١٤٠٨هـ.

٦- **ديوان الشاعر الأسمر الجويعان العنزي.**

٧- **ديوان الشعر العامي بلغة أهل نجد**، أبو عبدالرحمن بن عقيل، الجزء الثالث، الطبعة الأولى سنة ....

٨- سفير الضمير **(ديوان شعر)**، محمد بن عوض الحربي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٩- **شاعرات من البادية**، عبدالله بن ردَّاس، دار اليمامة للطبعة والترجمة والنشر، الرياض، الجزء الأول، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ.



١٠- **شعراء من البادية**، عبدالله بن ردَّاس، مطابع البادية للطباعة، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

١١- **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**، (٥ أجزاء)، محمد ابن عبدالله بن بليهد، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ.

١٢- **عالية نجد**، تأليف: سعد بن جنيدل، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

١٣- **الفصحى ونظرية الفكر العامي**، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

١٤- **قصة وأبيات**، تأليف: إبراهيم اليوسف، (٣ أجزاء)، طبعات مختلفة.

١٥- **قطوف الأزهار**، (٤ أجزاء)، للشاعر: عبدالله بن عبّار العنزي، مطابع الفرزدق بالرياض، الجزء الثالث، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

١٦- **القهوة العربية وما قيل فيها من الشعر**، عبدالرحمن بن زيد السويداء، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٧- **مجلة الحرس الوطني**، اصدار شهر محرم ١٤١٠هـ.

١٨- **مخطوطة النجم اللامع**، محمد العبيّد.

١٩- **معجم اليمامة**، عبدالله بن خميس، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

٢٠- **معجم بلاد القصيم**، محمد بن ناصر العبودي، الجزء الثاني، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٢١- **من أحاديث السمر**، عبدالله بن خميس، الجزء الأول، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٢٢- **من آدابنا الشعبية**، (٧ أجزاء)، تأليف: منديل الفهيد، مطابع الفرزدق التجارية، سنوات الطبع متعددة بحسب الأجزاء.

٢٣- **من شيم العرب**، فهد المارك، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

٢٤- **من فنوق البادية**، نايف بن زابن المعمري، مطابع اليمامة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

٢٥- **نجد في عصور العامية**، (الأجزاء ١-٥) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٢٦- **نسب حرب**، عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ



قائمة الرواة

١- إبراهيم بن عبدالله اليوسف.

٢- إبراهيم بن عبدالمحسن الطيير البدراني.

٣- بجاد بن مقبل الذويبي

٤- حامد بن حمود بن حرموص الربيقي.

٥- حمد بن مطلق الحريّص المطيري.

٦- الحميدي بن حامد البيضاني.

٧- درع بن سالم الصعيقري.

٨- ذعار بن شجاع الذويبي.

٩- رغيان بن رويشد الفريدي.

١٠- سعد بن نفاع بن مغدف المويعزي.

١١- سعود الهامل القحطاني.

١٢- سند بن فريح بن هملان الوهبي.

١٣- صنهات بن بدر الشطير.

١٤- ضيف الله بن جهز بن راجح.

١٥- طلال بن يوسف الذويبي.

١٦- عبدالرحمن بن خلف بن جزا الأحمدي.

١٧- عبدالله بن إبراهيم أبو نيان.

١٨- عبدالله بن مخيزيم الحنيني.

١٩- عبيد بن جروان البدراني.

٢٠- علي بن الفليح البدراني.

٢١- غربي بن جاسر الوهبي.

٢٢- غريب بن فهيد بن ناحل.

٢٣- فالح بن حثلين بن هديب الفريدي.

٢٤- محمد بن زيدان بن مطلق.

٢٥- محمد بن عبدالرحمن أبو نيان.

٢٦- محمد بن غازي بن كلاّب.

٢٧- محمد بن نويفع الشاماني.

٢٨- مدوخ بن غِمّيض البيضاني.

٢٩- مريبد بن حامد بن هنود.

٣٠- مسفر بن حَبَاب البدراني.

٣١- موسى بن فايز البدراني.

٣٢- ندا بن فرحان البحيثي الفريدي.

٣٣- هلال بن نجا البديراني البدراني.



قائمة إنتاج المؤلف[1]

١- **أشعار قديمة تنشر لأول مرّة**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٢هـ، الطبعة الثانية، الرياض، سنة ١٤٢٥هـ.

٢- **ديوان فقيد التراث الشعبي عبدالله الزامل**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٠هـ.

٣- **أحديات وألقاب من قبيلة حرب وغيرها**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، الطبعة الثانية، سنة ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

٤- **أشجان شاعر: ديوان عبدالله الزامل (فصيح)**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٥- **ابن مضيّان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٦- **مذكرات تاريخية عن بعض أعلام قبيلة حرب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

---

(١) هذه القائمة تشمل المؤلفات التي انفرد المؤلف بإصدارها أو التي شارك في تأليفها أو تحقيقها ونشرتها جهات أخرى.

٧- **فصول من تاريخ قبيلة حرب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٧هـ، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ، الطبعة الثالثة، بيروت، سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٨- **ملاحظات على المؤلفين والكُتَّاب حول التاريخ والأنساب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٩- **قصص وأشعار من قبيلة حرب**، الطبعة الأولى، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، الطبعة الثانية، سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١٠- **من أخبار الخيل عند قبيلة حرب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١١- **التنظيمات القانونية والقضائية لدى قبائل الحجاز قبل العهد السعودي، الجزء الأول: القانون العرفي القبلي**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢- **التنظيمات القانونية والقضائية لدى قبائل الحجاز قبل العهد السعودي، الجزء الثاني: القضاء العرفي وأشهر قضاته**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٣- **ديوان شاعر المحاورة: صياف الحربي**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م (بالمشاركة).

١٤- **ديوان الشاعر: سبيل بن سند الحربي**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٥- **من أخبار القبائل في نجد (٨٥٠هـ ـ ١٣٠٠هـ)**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤١٦هـ، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤١٧هـ، الطبعة الثالثة، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٦- **بعض الأعيان وأعلام القبائل في وثائق المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة خلال العهد العثماني (٩٦٠هـ - ١٣٠٠هـ)**، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٧- **من أخبار الملك عبدالعزيز في مذكرات الراوي محمد العلي العبيِّد آل حمَيْد**، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٨- **أشهر القضاة وكتبة الوثائق في وادي الفرع بمنطقة المدينة المنورة**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٩- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، القسم الأول: وثائق وادي الفرع**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٠- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، القسم الأول: وثائق وادي الفرع**، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢١- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، القسم الأول: وثائق وادي الفرع**، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٢- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، القسم الأول: وثائق وادي الفرع**، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٣- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، القسم الثاني: وثائق ينبع والصفراء ونواحيهما**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٤- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، القسم الثاني: وثائق ينبع والصفراء ونواحيهما**، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥- **وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، القسم الثالث: وثائق خيبر**، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦- **وثائق من الغاط، (٦ مجلدات)**، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٧- **وسوم الإبل عند قبيلة حرب**، الطبعة الأولى، الرياض، سنة ١٤٢٤هـ، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م (بالمشاركة).

٢٨- **لمحات وذكريات، لعبدالله الزامل**، (تحقيق ونشر)، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٩- **البدارين من قبيلة حرب؛ نسبهم، تاريخهم، ديارهم**، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٢٦هـ، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٠- **سهام الشوق (ديوان شعر فصيح)**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣١- **تعريفات وإشارات (قراءة سريعة لبعض الإصدارات المعاصرة في التاريخ والأنساب)**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٢- **خواطر ومساجلات (ديوان شعر عامي)**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٣- **ظاهرة التأليف في القبائل والأنساب؛ الأسباب والضوابط المطلوبة**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٤- **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر، المفترى على شعيب الدوسري**، من إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، إصدار رقم (١٨٩)، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م (بالمشاركة).

٣٥- **الهَمْداني ورأيه في نسب حرب بين مؤيديه ومعارضيه**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٣٦- **عبدالرحمن بن أحمد السديري، أمير الجوف (١٣٦٢ ـ ١٤١٠هـ)**، إصدار: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، الجوف، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م (بالمشاركة).

٣٧- **أصول الخيل العربية في مخطوطة عباس باشا**، إصدارات مكتبة الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ (تحقيق بالمشاركة).

٣٨- **أشهر التسميات المحلية للسنوات الهجرية**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٣٩- **رسائل المحبة من صفوة الأحبة (رسائل وتهاني ومداعبات عبر الجوال)**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤٠- **أعلام تشرفت بالحديث عنهم**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤١- **أهيب بقومي (القسم الأول): خواطر بين الذات والوطن**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٤٢- **أهيب بقومي (القسم الثاني): وقفات بين التاريخ والسياسة**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٤٣- **روايات المُسِنين وأخبار المعَمّرين.. سُلْطة الرواية وغياب الإثبات حول حقيقة الأعمار!**، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٤٤- **كشافات كتاب وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة، القسم الأول: وثائق وادي الفرع، ويشمل كشافات الأجزاء من (١) إلى (٤)**، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.





محتويات الكتاب

